إصدارات الهيئة العلمية للدراسات

تجديد الإيمان

بتدبر آيات الفتيان

الدكتور

أحمد عبد الرحمن النقيب

قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية
كلية التربية - جامعة المنصورة

طيبة

تجديد الإيمان

بتدبر آيات الفتيان

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٣٦هـ = ٢٠١٥م

رقم الإيداع
٢٠١٥/٣٣٦٩

هاتف
٠١١٢٠٠٠٠٤٣١ - ٠١٠٢٦٦٢٢١٣٣

إصدارات الهيئة العلمية للدراسات

تجديد الإيمان

بتدبر آيات الفتيان

الدكتور

أحمد عبد الرحمن النقيب

قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية
كلية التربية - جامعة المنصورة

طيبة
للنشر والتوزيع
المنصورة - مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله، نحمدُه ونستعينُ به ونستغفِره، ونعوذ بالله من شرور أنفُسنا، ومن سيئاتِ أعمالنا، من يهدِهِ الله فلا مُضِلّ لهُ، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهدُ ألا إله إلا الله وحدهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أن مُحمدً عبدهُ ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران:١٠٢] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ ـ ٧١].

ثم أما بعد:

فـإن خيرَ الكـلام كلام الله تعالى، وخير الهدي هدي نبينا مُحمدٍ ﷺ، وشر الأمور مُحدثاتُها، وكل مُحدثةٍ بِدعة؛ وكل بِدعةٍ ضلالة، وكُلّ ضلالةٍ في النار.

لو قرأنا تاريخ الحضارات والدول لوجدنا أن الحضاراتِ والدول تقومُ على فِكرِ الشيوخِ وحِكمتهم، وجلدِ الشبابِ وقوَّتِهم، فإذا تخلَّى الشباب عن حِكمةِ الشيوخ، واستغنى الشيوخُ عن جلدِ الشباب: فلن تجِدَ واقعًا محمودًا أمامك!!

كان ذلك الأمْرُ موجودًا في صدرِ دعوةِ نبينا مُحمد ﷺ، فالنبي ﷺ أُنبِئَ بعد الأربعين؛ ليكونَ شيخا ـ فمن بلغ الأربعين أو تجاوزها : فهو شيخ بالسنّ ـ وأما أكابر الصحابة؛ كأبي بكرٍ رضي الله عنه: فقد كان قريب السن من النبي ﷺ ، وكانت الغالبية الكثيرة من الصحابة من الشباب، فحملَ الدينَ هذا الصِّنفُ من الرجال شيوخًا وشبابًا، فليس هناك احتقارٌ لطائفةٍ، وليس هناك تهميشٌ لأُخرى، بل لابُدَّ للكلِّ أن يعملَ في إطار الهدف، وأن يُشارِكَ في حملِ الأمانة، ولكن أُريدُ أن أُركِّزَ شيئًا من الضوء على جهد الشباب؛ لذا هناك مُلاحظتان:

الأولى: أن بعضَ الشبابِ في جاهليّتِهِ يكونُ غايةً في القوةِ والفاعليَّة، يسهرُ الليالي ليُضلَّ الناس عن سبيل الله، وحركتُهُ محمومة مُتَّصِلة للإضلال والإفساد! فإذا تسنَّنَ والتزم: تفسَّخَ وتغيَّرت أحوالهُ وصار هشًّا ضعيفًا خامِلًا، والنبي ﷺ قال: «خِيَارُكُمْ فِي الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُكُمْ فِي الإِسْلاَمِ إِذَا فَقِهُوا»[1]، فعُمرُ رضي الله عنه كان شديدًا في الجاهليَّة، فلما أسلمَ كانت شِدَّتهُ للإسلام،

(١) أخرجه البخاري (٤٦٩٨-تفسير القرآن).

وعافيتُهُ للإسلام[1]؛ بينما نجِدُ نماذجَ كثيرة من الشباب كانَ غايةً في السوء! فلما تسنَّنَ والتزم: تغيَّرتْ أحوالهُ وصار ضعيفًا هشًّا غافِلًا مُهمِلًا غير فاعِلٍ ولا مُنتِج، غيرَ مُتحمِّلٍ للمسئوليَّة حتى صارَ الالتزامُ يُساوي: الغفلة والإهمال، والفشل والتَّخلُّف! وهذِهِ مسألة خطيرة جِدًا!

الثانية: أنهُ في دُنيا الشباب لا يستطيعُ الواحدُ أن يتحمَّلَ المطلوبَ بصورةٍ حسنة، فإذا طُلِبَ من العشرين أن ينظفوا المسجد ـ مثلاً ـ قاموا بتنظيفه، والحقيقةُ أن الذي قام بالدور: واحدٌ أو اثنان! والباقون يطوفونَ حولهُ عند توزيع المسئوليات وتحديد الأدوار، وعندئذ يكونُ الفشل!

هاتان مُلاحظتان خطيرتان في عالمِ الشباب، فهل كان أجدادُنا وأسلافُنا من شباب الصحابة على هذهِ الصورة الممسوخة التي نجِدُها من شباب هذه الأيام؟! إن النبي ﷺ ربّاهُم وأدَّبَهم؛ لذلك كانوا امتدادًا لشخص النبي ﷺ.

وهناك فتية ذكرهم الله سبحانه نموذجا صالحا لما ينبغي أن يكون عليه الفتية والشباب؛ جلدا وقوة ، ثباتا وجدا ، أدبا وصبرا، إنهم لم يعاصروا نبيا ، أو يعايشوا رسولا ، مع ذلك : كانوا قدوة لنظرائهم وأترابهم ، بل قدوة للأمة، إنهم أصحاب الكهف .

إن قِصتهم عجيبةٌ جدًا وليس أعجب ولا أصدق من كلام الله ، مبينًا لنا قصتهم !

---

(١) انظر: صحيح ابن حبان (٤٨٣٢).

وسنذكر آيات قصتهم في القرآن ، ثم نعقب على كل آية أو جملة منها بما يكون مناسبا مما فتح الله به ، وهو حسبنا وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله.

تبدأ قصتهم بقوله تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴾ [الكهف:٩] خلّدَ الله تعالى ذِكرهُم، وأمضى ربُّنا ﷻ اسمَهُم، ولم يُحدِّد شُخوصَهُم؛ لكي نأخُذَ منهم العبرة وفي القرآن لا تُحدد الأعيانُ والأشخاص والوقائعُ تحديدًا دقيقًا؛ لكي يكونَ اللفظُ مُحتملًا لكثيرٍ من الدلالات، إلا ما قلّ، كتعيين غزوةِ أُحُد أو بدر أو غير ذلك؛ كي تكونَ أيضا ذِكرى وعبرة.

﴿ أَمْ حَسِبْتَ ﴾ استفهام، تُستهلُّ بهِ القصَّة للتحفيز وتهيئةِ المخاطب؛ كي يسمعَ هذا الخِطاب، كما تقول: أرأيتَ ما حدثَ لي عندما أتيتُ المسجِد؟ نعم: ما الذي حدثَ لك؟ يستعِدُّ الناس لمعرفةِ الذي يحدُث أو ما حدث، فالمُخاطبُ عندما يبدأ الخطابُ بالاستفهام، يسأل نفسه: يا تُرى ما هذهِ القِصة؟ ما هذا الخبر؟ آذانهُ تنفتِح، وقلبهُ يصغى، ويكونُ جاهِزًا لسماع المطلوب منه.

﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ ﴾ الرقيم هو الكتاب[1]؛

---

(١) انظر: الطبري، محمد بن جرير (ت٣١٠هـ): تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل القرآن (١٥/ ١٩٩)، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١ ١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م.

والفعيل هنا بمعنى: مفعول؛ أي: المرقوم؛ والكتاب الرقيم أو المرقوم: المكتوب فيه[1]؛ فكأنَّ هؤلاءِ القوم كُتِبت قِصَّتُهم وقيِّدت أسماؤُهم في كتاب، ولكن أين هو الآن؟ وما أسماؤُهم؟ الله أعلم، لكن في الحقيقة كُتِبتْ قِصَّتُهم، وقُيِّدت أسماؤُهم، ثم ربما اندرسَ ذلك فكان غيبا، ونحنُ لا نعلم الغيبَ إلا بتوقيفٍ من الله[2]، أو من رسول الله ﷺ.

﴿كَانُوا۟ مِنْ ءَايَـٰتِنَا عَجَبًا﴾ هناك آياتٌ عجيبة سيُجريها ربُّنا الجليل، ومليكُنا العظيم لهؤلاءِ الفتية؛ كي يكونوا نموذجًا طيِّبًا للفتوَّة التي ينبغي أن يتَّصِفَ بها شبابُ الإسلام.

﴿إِذْ أَوَى﴾ إذ: الظرفية، فيها معنى الزمن؛ أي في الوقتِ الذي أوى ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾ علماء العربية يقولون: الفتية هنا جمع قِلَة[3]،

---

(١) انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ): لسان العرب (٣/ ١٧٠٩)، دار المعارف، القاهرة – ١٩٨١م، وانظر أيضا: الطبري: تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل القرآن (١٥/ ١٩٩).

(٢) انظر: لابن عطية، عبد الحق بن غالب (٥٤٦هـ): تفسير ابن عطية=المحرر الوجيز (١/ ٢٨)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، مصر، ط٢، والقرطبي، محمد بن أحمد (ت ٦٧١هـ) الجامع لأحكام القرآن (١/ ٥٦)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١-١٤٢٧هـ=٢٠٠٦م، وأبي حيان، محمد بن يوسف (ت ٧٤٥هـ): تفسير البحر المحيط (١/ ١١٩)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١-١٤٢٢هـ=٢٠٠١م.

(٣) انظر لأبي حيان: تفسير البحر المحيط (٦/ ٩٩)، وابن عاشور، محمد الطاهر (ت١٣٩٣هـ): التحرير والتنوير (١٥/ ٢٦٦)، دار سحنون، تونس-١٩٩٧م.

يدُلُّ ذلك على أنهم كانوا أقل من عشرة، ولم يكونوا جيشًا جرَّارا؛ لأن بعض الناس يقولون: نحنُ قِلَّة! نحنُ أربعة أو خمسة أو ستة! كيفَ نستطيعُ أن نقوم بالدعوة؟! ينقُصُنا القائد الذي يقودُنا! وينقُصُنا الإمام الذي يؤُمُّنا؛ فالعددِ قليل، والإمكانيات ضعيفة، ونحنُ نحتاجُ إلى الموجِّه، والإمام والكبير الذي يقود وينصح ويُوجِه(*).

هؤلاء الفتية لم يكُن بينهم كبيرٌ يرجِعونَ إليه! ليحسِمَ أمرهم؛ وذلك بدلالة النزاع الذي حدثَ بينهم، والنقاش الذي دارَ فيما بينهم، ولم يكُن بينهم نبي يحسم أيضًا أمرهُم، بل كانوا مُتقاربين في السن، وكانوا قليلًا في العدد؛ كانوا فارين بدينهم من ديارهم وأقوامهم، ولم يكن لديهم مال يعتمِدونَ عليه، ولا قوَّة يركنون إليها!

تصوَّر أنَّهُم في قريةٍ من القرى، وتصوَّر أنهم هم أنتَ ومن معكَ من محبي الديانة القائمين بها وعليها، تأمَّل هذا الموقف، واعتبر من هذا الموقف، ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾ كلمة: أوى إلى للدلالة على أن سفرًا طويلًا قد سافروه، ووقتًا طويلًا قد أمضوه، مكثوا مُسافرين يمشونَ مُدَّةً طويلة، فكم من المسافة قد قطعوا؟ وكم من المدّةِ قد أمضوا؟ الله أعلم، ولكن أصابَهُم الإعياء، وضرَبَهُم الجهد، فدخلوا إلى هذا الكهف، والكهفُ نُقرةٌ أوسعُ من

(*) وهذه آفة كثير من محبي الدعوة في القرى والأحياء، إنهم دائما يشكون من فقد المُوجِّه والمربي...!

الغار، الغارُ: نُقرةٌ في الجبل؛ فإذا كان مُتَّسِعًا أكثر؛ كان كهفًا [1]؛ لذلك الغار ربما يأوي إليه الواحد والاثنان، أما الكهفُ فإنهُ أوسع، فيأوي إليه الأكثر، والمعنى: دخلوا جميعًا إلى نُقرةٍ في الجبل يستريحونَ فيها.

فهم أخذوا بالأسباب المادية، إنهم سافروا: ومشوا، واجتمعوا، ورحلوا، وخلَّفوا وراء ظهورهم الديار والأهلَ والأحباب، فلما دخلوا إلى الكهف: كان لا أنيس معهم ولا قوَّةَ لديهم؛ ﴿فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ﴾ هذه هي الأسباب المعنويَّة القويَّة: التي إذا حُرِمَ منها المرءُ كان مُفلِسا! كثيرٌ من الناس يتحرك في دائرة الأسباب المادية، ولكن لا يجعلُ سببًا موصولًا بينهُ وبين الله! جرِّب إذا مسَّكَ ضُرّ أو نزلت بكَ نازِلة أن تكونَ موصولًا بالله، خُذ بالأسباب الماديَّة، ولكن إياك أن تقطعَ ذلك السبب -الحبل- الذي بينكَ وبين الله.

﴿رَحْمَةً﴾ أتت كلمة الرحمة مُنكَّرة؛ للدلالةِ على تعدُّدِ لوازِمها، ومن لوازم الرحمة: القوَّة والثبات والعافية والعون، والنصرة والحفظ والحماية[2]، والمعنى: فآتِنا رحمةً من عِندِكَ يا ربَّنا، فنحنُ في حاجةٍ لكل هذهِ الأشياء.

لذلك عندما خرجَ موسى -عليه السلام- فارًا من مِصر؛ قال: ﴿رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص:٢٤] لم يُعرِّف «خير» وإنما أتى

(١) انظر ابن منظور: لسان العرب (٥/ ٣٩٤٦).
(٢) انظر ابن منظور: لسان العرب (٣/ ١٦١٣).

بها مُنكَّرة؛ للدلالةِ على التعدُّد، فهو فقير إلى الطعام، وفقير إلى الأمن، وفقيرٌ إلى الحماية، وفقيرٌ إلى النُّصرة، وفقيرٌ إلى الأُنس، وفقيرٌ إلى المادة[1]؛ لذلك كان الجواب: ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ [القصص:٢٥].

فإذا تضرَّعَ الإنسان إلى الله؛ وأقبلَ على الله؛ وأدمنَ طَرقَ باب مولاه: فإن الله -تعالى- يفتحُ عليه! جرِّب هذا في كل أمور حياتك[المادية-الاجتماعية-الأسرية-الطبية...أي أمر يقع لك] جرِّب أن تقصد ربَّك، وأن تُديمَ سُؤالَ ربِّك، فإنه من لم يسأل الله يغضب عليه[2]، أما إذا سألتَ ربَّك وألححتَ في السؤال، فإن الله -تعالى- يُحِبُّك! فليس حالُ ربِّنا كحالِ بعضِنا! إن بعضنا إذا ألححتَ عليهِ في السؤال تبرَّمَ منك، فتأمَّل حال الخلقِ من حالِ الحقّ!

كذلك هؤلاءِ الفتية؛ تعلَّقوا بالله ﷻ ﷺ، أخذوا بالأسباب، وتعلَّقتْ قلوبهم بربِّ الأسباب، ثم قالوا: ﴿وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف:١٠] فالذي يُهيِّئُ الرشد لكَ في قولِكَ وفِعلك وجودة عقلك، وحكمة رأيك، وكثرة عِلمك، وكِبر سنِّك، هو ربُّك، إذا سألتَ فاسألِ الله[3]؛ فكُن غنيًا بمولاك، ولا تكُن فقيرًا بغيرِ مولاك، فمن اعتمدَ على غيرِ الله ذلّ؛

---

(١) انظر القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (١٦/ ٢٥٩).

(٢) صحيح. أخرجه الترمذي (٣٣٧٣) من حديث أبي هريرة ﷺ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٤١٨).

(٣) صحيح. أخرجه أحمد (١/ ٣٠٣)، والترمذي (٢٥١٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٩٥٧) من حديث ابن عباس ﷺ.

ومن توكَّلَ على الله عزّ؛ فكُن عزيزًا بربِّك.

لذلك قالوا: ﴿ وَهَيِّئْ ﴾، ثم انظُر وتأمَّل كلمة: «هيئ » فيها معنى الترتيب والإعداد؛ فالأمورُ إذا أوقعها الله ﷻ؛ يُرتِّبُ لها، وإذاً أمرَ الله – تعالى- بشيء قدَّمَ إليه بما يُعانُ بهِ العبدُ على حصولِه، كما يأمرُ الله ﷻ أن يكونَ لكَ ولد، فيهيئ لكَ أمرَ الزواج، ويُعينُكَ على مسألة الزواج، ويُرتِّبُ لك أمرَ اللقاء، ويُعدُّ زوجتكَ لذلك؛ ليكونَ الولد، فإذا أراد الله –تعالى- شيئًا هيَّأَ لهُ أسبابه؛ لذلك قالوا: ﴿ وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ والمعنى: أَمدنا وحَسِّن طريقنا إلى الرشد وأصلحه لنا[1]، فهم يعلمونَ أن طاغيةً رُبما يطلُبُهم، ويعلمون أن أهلًا كثيرًا رُبما يطلبونهم، ويعلمونَ أنهم لو رجعوا إلى ديارهم ربما قُتِلوا أو سُجِنوا أو عُذِّبوا! في هذا الضغطِ الشديد وهم في غُربة رُبما كانوا في ظُلمة، وربما كانوا جوعى؛ لذلك لا يتعلَّقونَ إلا بالله ﷻ، فالمرء إذا دارتْ به الدوائر فلا يتجِه إلا إلى الله ﷻ، وهذا ما جبل عليه الإنسان فطرة ، حتى لو كان مشركًا !! فلقد أخبرنا ربنا سبحانه عن حال المشركين إذا ركبوا في الفُلك! فقال – عز وجل -: ﴿ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [يونس:٢٢]، فهذهِ مسألة مُقرَّرة في فِطرةِ البشرِ جميعًا! أنهم: إذا أصيبوا بالضُّر أو إذا نزلتْ بهم النازلة لم يتوجهوا إلا إلى الله ﷻ.

---

(١) انظر ابن منظور: لسان العرب (٦/ ٤٧٢٩).

وفي حديث عمران بن حصين - رضي الله عنه - قال: قال النبي ﷺ لأبي الحصين:

«كم إلهًا تعبُد؟

قال: سبعةَ: ستةً في الأرض وواحدا في السماء.

قال: فأيهم تعد لرهبتك ورغبتك؟

قال: الذي في السماء...»[1]

﴿ وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ انُظر لحالِ هؤلاءِ الفتية، القِلة المُنكسِرة، الذين ليس معهم أنيسٌ ولا ونيس، الفارينَ بدينهم، الراغبينَ بأنفُسهم إلى الله ﷻ، كيف أخذوا بالأسباب المادية؟ ثم بعد ذلك وقبل ذلك وأثناء ذلك: كان تعلُقهم برب الأسباب.

كان الجواب: ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِي ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴾ [الكهف:١١] كأن المعنى: أنهم ما دعوا ربَّهُم هذا الدعاء إلا ضربَ الله -تعالى- على آذانهم، والمقصودُ بالضربِ على الآذان: النوم[2]؛ فالنومُ سُبات،

---

(١) ضعيف. أخرجه الترمذي (٣٤٨٣)، وقال حديث حسن غريب، واللالكائي: هبة الله بن الحسن (ت٤١٨هـ): شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١١٨٤)، دار طيبة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط٩-١٤٢٦هـ=٢٠٠٥م.

(٢) انظر الطبري: تفسير الطبري (١٥/ ٢٠٥).

النومُ راحة، والإنسان إذا كان قلِقًا مُضطربًا مهمومًا مكدودًا مغمومًا ثم استراح بالنوم، فإنهُ يقومُ بحالهُ أحسن قيام؛ لذلك كان من فضلِ الله ﷻ ونِعمهِ على الناس: النوم، فهو آية من آيات الله ، ففي النوم: انقطاع عن الدنيا، وغبرها ووعثائِها؛ لتستريح قليلًا، فإذا أخذتَ حظَّكَ من النوم: قُمتَ مُستريحًا لتُواصِلَ المسئوليات.

لهذا من بدايات الفتح وبشريات النصر في غزوةِ بدر، أن الله تعالى أذاقَ المُسلمين قبل القتالِ نومًا فقال سبحانه : ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ ﴾ [الأنفال:١١] أصاب المسلمين النُّعاس قبل المعركة، وكانوا قلةً في العدد، وكانوا قِلةً في الزادِ والسلاح؛ لم يخرجوا لقتال، وإنما خرجوا لغنيمةٍ بارِدة، ففوجِئوا بالجيش! فبدلًا من أن يضطرِبوا أو يخافوا أو يحزنوا أو يذهب النومُ من جُفونهم: يضرِبُ الله -تعالى- على آذانِهم بالنوم؛ لينام الصحابة قبل معركةِ بدر شيئًا يسيرا، وهذا الجُزء اليسير الذي ناموه: كان تقويةً لهُم، والنعاس: هو حـالة الآمن الذي لا يخاف ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ ﴾ أي: من الله ﷻ[1].

فالنوم: فضلٌ ورزق من الله، فكم من أناس يأخُذونَ العقاقير من أجلِ النوم، ولابُدَّ أن يُغيِّروا العقاقير كل فترة؛ لأن الجِسم بعد فترة يتعوَّد على هذا النوع، ويأتي وقت لا ينامونَ فيه!

(١) انظر حول هذا المعنى القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (٩/ ٤٥٩).

لذلك عندما نستيقِظ من النوم نقول: الحمدُ لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور[1]. فالذي أنامك هو الله، والذي أيقظكَ هو الله: نِعم، وآيات، وكرم من الله ﷻ، لكن الإنسان في سَوْرةِ الحياة يكونُ غافِلًا عن تدبُّرِ نِعمِ الله! ويظُنُّها: أشياء مُكتسبة؛ لكثرة تكراره، فهو ينام ويستيقظ يوميًا، فلا يستشعِرُ بنعمةِ النوم، ولكن دعهُ يُصابُ بالأرق أسبوعًا من الوقت، عندئِذ يعرِفُ قيمة النوم!

هؤلاء الفتية عندما هرعوا إلى الكهف مُتجهينَ إلى الله ﷻ، داعينَ الله أن يرزُقهم، وأن يهب لهم الرحمة والرشد، قال ربنا ﷻ: ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِي ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴾، لم يقُل ربنا -سُبحانهُ وتعالى-: أنمناهم، وإنما قال: ضربنا على آذانهم! فالضربُ فيهِ انقطاعٌ عن الدنيا، فهم ينامونَ ولكن لا يحسونَ ولا يشعرون، فالنائمُ لهُ إحساسٌ وشُعور؛ بدلالةِ أنّ أحدًا لو أيقظهُ لاستيقظ، وأنَّ أحدًا لو صاحَ بهِ لانتبه، أما هؤلاء: فإن الله -تعالى- ضربَ على آذانهم: أي جعل حاسة الأذُنِ مُعطَّلة، فلا إحساس ولا شعور، وهذا فيهِ تمام المفاصلة عن الواقع الشركي الفاسد الذي كانوا فيه؛ ليكونَ نومُهم أهدأ، ومقامهم أهدأ، فلا يشعرون بشيء، ثم قال ربنا ﷻ: ﴿ فِي ٱلْكَهْفِ ﴾ أي: كان ذلك الصنيعُ في داخِلِ الكهف! فلم يقوموا

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦٣١٢-الدعوات)، ومسلم (٢٧١١-الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار).

ليتحركوا، وإنما كان من تمام الآية أن يكونَ النومُ في مكانٍ واحد، بعضُ الناسِ عندما ينامونَ يتحركون، وربما قاموا من مكانهم ونعلمُ أن حوادث كثيرة، وأن ناسًا كُثُر: قد ماتوا بسبب الاستيقاظ من النوم، فهم يستيقظون فيفتحونَ باب الشقة، فينزِلونَ على الدَّرج (السلالم)، ويسيرونَ في الشارع، وهم في حالةِ نوم تام!!

لكن حكى ربنا أنهم كانوا في داخل الكهف! لم يبرحوه، ولم يتركوه، وهذا كلُّهُ نفهمهُ من دلالةِ الأداةِ «في» ﴿فِي ٱلْكَهْفِ﴾ ثم قال ربنا ﷻ: ﴿سِنِينَ عَدَدًا﴾ عددا مصدر بمعنى: معدودة[1]، والسنين: وُصِفت بأنها معدودة؛ لأنها معدودةٌ عند الله ﷻ، ثلاثمئة سنة، وزادهم ربنا ﷻ تسعًا، فهي سنين كثيرة، ولكنها عند الله -تعالى- معدودة[2]، فكل شيءٍ في ذلك الكون يُقدِّرهُ ربُّك ويعلمهُ، وأحصاهُ ربُّك! فلا شيءَ في الكونِ يكونُ هكذا! ثم قال ربنا ﷻ بعد أن ذكر أنهم لبثوا في الكهف سنين عددا: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا﴾ [الكهف:١٢] كلمة «ثمّ» تدُل على الفترة والمُدّة[3]؛ لأنهم مكثوا مُدةً طويلة، ولكنهم لم يعلموها كحال ذلك الرجُل الذي شاهد القرية الخاوية على عروشها: ﴿قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ

(١) انظر الطبري: تفسير الطبري (١٥/ ٢٠٦).
(٢) انظر الطبري: تفسير الطبري (١٥/ ٢٠٦).
(٣) انظر بنحوه ابن عطية: المحرر الوجيز (٩/ ٢٤٦).

﴿ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ [البقرة:٢٥٩] مكثَ مئة عام، وظنّ أن هذهِ السنوات المُتوالية التي اقترنَ بعضُها ببعض: يوما أو بعض يوم!! وهنا أيضًا لم يعلموا كم من المدةِ لبِثوا! وكم من الوقتِ أمضوا، فأراد ربُّك -سُبحانهُ وتعالى- أن يبعثهم؛ كي يكونَ هذا البعثُ آية لهم ولغيرهم.

﴿ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ ﴾ الحِزبانِ: هناك أقوال كثيرة: والقول الذي عليه الجمهور: أن الحِزبين: حِزبُ الفتية: وهم أهل الإيمان، والحزب الثاني: أهلُ المدينة، فالفتيةُ حِزب؛ لأنهم مُتشابهون مُجتمعونَ على أمرٍ واحد[1]! فكل قومٍ تشابهوا فيما بينهم، واجتمعوا على أمرٍ واحد كانوا آنذاك حِزبًا؛ والحِزبُ إما أن يكونَ ممدوحًا، وإما أن يكونَ مذمومًا، هذا في الإطلاق اللغوي[2]، وفي عُرفِ الشرع؛ وهذا بخلاف عرف الواقع الاجتماعي!! فإن الحزب يدُل على: الممارسة التي يُقصدُ من وراءها الوصول إلى الحُكم؛ بُغية التغيير، أو تنفيذ

---

(١) انظر ابن عطية: المحرر الوجيز (٩/ ٢٤٧).

(٢) انظر هذه المادة عند الأزهري، محمد بن أحمد (ت ٣٧٠هـ): تهذيب اللغة (٤/ ٣٧٣-٣٧٥) الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة ط١-١٣٩٦هـ=١٩٧٦م وانظر ابن فارس، أحمد (ت ٣٩٥هـ): معجم مقاييس اللغة (٢/ ٥٥) تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت- ١٤٢٠هـ=١٩٩٩م، وابن منظور، محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ): لسان العرب (٢/ ٨٥٣-٨٥٤. وانظر للزبيدي، محمد مرتضى الحسيني (ت ١٢٠٥هـ): تاج العروس من جواهر القاموس (١/ ٤١٦-٤١٨) دار الفكر، بيروت- ١٤١٤هـ=١٩٩٤م. ومجمع اللغة العربية: المعجم الكبير (٥/ ٢٨٥-٢٨٨) القاهرة، ط١-١٤٢١هـ=٢٠٠٠م والمعجم الوسيط (١/ ١٧٦) القاهرة، ط٣-١٩٨٥م.

الأهداف المطلوبة للحزب[1]!

فالحِزبانِ: الفتية؛ أهلُ الإيمان. ثم: أهلُ المدينة، ما الشيء الذي تشابهوا فيهِ؟ أهوَ الكُفر؟ ربما! أهو الإرادة الواحدة للبحثِ عن الحقيقة؟ ربما!

قولهُ -سُبحانهُ وتعالى-: ﴿لِنَعْلَمَ﴾ هل المقصود بذلك: أن الله -تعالى- لم يعلم فأحدثَ ما أراد ليعلمَ؟!! هذا كلامٌ لا يقولهُ إلا القدريَّة!! فالقدريَّة: يتهمونَ الله ﷻ بالجهل!! وأن الله -تعالى- لا يعلمُ الأحداثَ إلا عند حدوثها[2]-حاشاهُ سُبحانهُ-فالله -تعالى- لا يعلم أنكم ستأتونَ المكان إلا عندما تأتون!! أما وأنتُم في بيوتكم، فالله -تعالى- لا يعلم أنكم ستأتونَ المسجد!!

وهؤلاء-القدرية-كفَّار!! وعبد الله بن عمر ﷺ قال لمن سألهُ عن هؤلاء التامين لعلم الله الأول: «فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ، وَأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي»، وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ الله بْنُ عُمَرَ «لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ»[3] تبرأ الصحابةُ من القدريَّة الأوائل الذين نسبوا الجهل إلى الله لأ، وقالوا: بأن الأمرَ أُنُف!!أي: مُستأنف!! فالله -

---

(١) انظر بنحوه: عتريس، محمد: الموسوعة في المصطلحات السياسية والبرلمانية (ص/ ٢٢٨)، مكتبة الآداب، القاهرة، ط٢-٢٠١٤م.

(٢) انظر في هذا: العمراني، يحيى بن أبي الخير بن سالم (ت٥٥٨هـ): الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار (٢/ ٣٥١، ٣٤٠)، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، تحقيق: سعود بن عبد العزيز الخلف ط١-١٤١٩ه=١٩٩٩م

(٣) أخرجه مسلم (٨-الإيمان).

تعالى-عندهم لا يعلمُ الأشياء إلا عند حصولها!!

ولكن ما تأويلُ قول الله ﷻ: ﴿ لِنَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ ﴾ ؟ المقصودُ بالإعلامِ هنا: إعلام الناس بهذهِ الآيةِ العظيمة، وذلك بإخراجِ المعلومِ إلى الواقع المُدرك المُشاهد، فالمقصود: ﴿ لِنَعْلَمَ ﴾ أي: لِنُعلِمَ الناسَ[1]. بإخراجِ هذا الشيء الغيبي المجهول الذي لا يعرفوه؛ إلى أمرٍ مُشاهدٍ معلومٍ يُدركوهُ ويعرفوه.

﴿ لِنَعْلَمَ ﴾ اللام هنا للتعليل: أي: من أجلِ: ﴿ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدًا ﴾ إن الفتيةَ عندما قاموا؛ قالوا لبِثنا يومًا أو بعض يوم، وأهل المدينة عندما شاهدوا ما شاهدوا: اختلفوا فيما بينهم؛ أي وقتٍ مكثوه؟! وأي زمنٍ أمضوه؟ فاختلفوا فيما بينهم، فأراد ربُّك ﷻ أن يُعلمَ الناسَ الحقيقة.

ثم قال ربُّنا ﷻ: ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ﴾ القصُّ هنا: الحكاية أو الإخبار بأمر يُسرد[2]، والقصُّ في القرآنِ مقصود؛ لأن القرآن فيهِ معانٍ ثلاثة:

-**المعنى الأول**: التوحيد؛ بمقدماته، وشواهده، وأدلتهِ ونتائجه.

-**المعنى الثاني**: التشريع، بأضرابهِ وأنواعه، وأحكامه واستدلالاته.

-**المعنى الثالث**: القصُّ، والقصصُ في القرآن لا يُقصدُ من وراءهِ تزجيةُ

---

(١) انظر ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ): تفسير القرآن العظيم (٥/ ١٣٩)، دار طيبة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط٣-١٤٢٦هـ=٢٠٠٥م.

(٢) انظر ابن عطية: المحرر الوجيز (٩/ ٢٤٩).

أوقات الناسِ وتسليتُهم!! وإنما يُقصدُ بالقصِّ: ما تضمَّنهُ من عِبر، وما احتواهُ من أحكام وفوائد، وما اشتملَ عليهِ من معانٍ وفرائد؛ ولذلك الناظِرُ في قصص القرآن يستخرِجُ منها فوائدَ عقديَّة، وأخرى حُكميَّة، وأخرى سلوكيَة وأخلاقية، وهذا أمرٌ مُشاهد.

لذلك قال: ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ﴾ فإن الناسَ عندما يختلفون، يبقى الحقُّ مطلوبًا، وفي مسائل النزاع! فإن الأبصار والأفئدة رُبما تضطرب، ويبتغي الإنسان الحقَّ من كل سبيل، ويطيرُ إليهِ كل مطار: فلا يصِلُ إليه إلا بالإخلاصِ والدعاء؛ لذلك كان من هدي النبي ﷺ أنهُ كان يقوم من الليل ويقول: «اللهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»[1].

ويكونُ الأمرُ أكثر صُعوبة، عندما تتشابه وجوهُ الاختلاف، ويصيرُ الوصولُ إلى الحقِّ مطلبًا عسِرًا، فيكونُ الاجتهادُ في الدعاءِ أعظمَ حاجة، وهذا هو المقصود، فالحقُّ عند الله -تعالى- واحد غيرُ متعدد؛ لكن ربما تشابهت وجوهه لسبب من الأسباب العلمية النظرية؛ لذلك ينبغي على المكلَف: أن يجتهد في طلبِ الحقِّ ومنزِلته، فإن الناسَ لا يعرِفونَ الغيبَ إلا بالنص؛

---

(١) أخرجه مسلم (٧٧٠-صلاة المسافرين وقصرها).

وتَعَـــنَّي معرفة الغيب من غير وحيٍ: ضلال!! فالنبي ﷺ لم يكُن ليعرِفَ قصة أهلِ الكهف، ولم يعرف تفصيل ذلك الأمر إلا عندما أخبرهُ الله ﷻ، وهنا تأتي فائدة التعامل مع نصوص الوحي فيما يتعلَّقُ بالمُغيَّبات، وأنهُ لا يجوزُ أبدًا أن تخوضَ في المُغيَّبات من غيرِ نصٍ ولا دليل!! لأن هذهِ الأشياء: توقيفٌ من الله[1]، ومن رسول الله ﷺ.

عندما ذكر ربنا ﷻ في سورةِ هود بعض قصص الأنبياء، قال: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ﴾ [هود:٤٩] أنباءُ الغيب لا يُخبطُ فيها خبطَ عشواء، ولا تخوضُ فيها الآراء!! ولكن ينبغي أن تُضبطَ على حسبِ ما كان النصُّ والوحي.

فربنا ﷻ قصَّ حكاية أصحاب الكهف على النبي ﷺ؛ وذلك فيهِ إشارة أن هذهِ القِصّة موجودة في بعض المصادر الكتابيَّة، ولكنها مُشوَّشة مُضطربة، ومُكللة بالضلال، ولكن من الذي سيُخبرنا بهذهِ القصة بالحق؟ الله سُبحانهُ؛ لذلك قال: ﴿ نَّحْنُ ﴾.

﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾ تأمَّل: كلمة فتية: أتت مرَّتين، ولكن المعنى الأول غير المعنى الثاني.فالمعنى الأول: وصفٌ للفترة الزمنية، فالفتيةُ هم الشبيبة: الصغار، وكلمة فِتية: جمعُ القِلة للدلالةِ على أنهم أقل من عشرة، إذن هذهِ مسألة سِنيَّة عُمرية عددية، فهؤلاءِ الفتية الذين أووا

(١) أشرنا إلى ذلك سابقا هامش (ص/)، وانظر كتابنا محاسن المنن ( ) .

إلى الكهف: أقل من عشرة، وهم شبيبة صِغار! أما الفتية في هذهِ الآية: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ﴾ فالمعنى هنا مُتعلِّق بالأخلاق والإيمان؛ لذلك قالوا: رأسُ الفتوَّة الإيمان، وقال الجُنيد: الفُتوَّةُ: بذل الندى، وكف الأذى، وترك الشكوى، فهذهِ من أخلاق الفتوَّة، وقالوا: من أخلاق الفتوَّة: اجتنابُ المحارم، واستعجال المكارم، وهذا قولٌ حسن جدا؛ لأنه يعم بالمعنى جميع ما قيل في الفتوة [1].

المكارم: يأتي من كل قولٍ، ويغشى من كل فعلٍ ما هو كريم، والكريمُ: هو الحسنُ من كل وجه: هذا سيفٌ كريم، وهذا قولٌ كريم، وهذا ملكٌ كريم: أي: حسنٌ من كل وجه[2]، فحريٌّ بالمُسلم أن يكونَ كريمًا في أقواله، وأفعاله، وعطائه، ومنعه، ومشيه، ودعوته، وسكونه، وفي شأنهِ كلِّه. فالفتوَّة: معنى وليست الفتوةَ أن تكون مفتول العضلات، أو أن تكونَ واسعَ الصدر، أو أن تكونَ عظيم الجسم أو أن تكونَ شديد الصرعة، هذا وإن كان مطلوبًافي كثيرٍ من الأحوال، لكن ليس هذا هو المطلوب، وإنما الفتوة: معنى يتعلق بالاعتقادِ والأخلاق، فربما رجُلٌ شبَّ واقتربَ من القبر: ويكونُ فتيًا!! يكونُ فتيًا بعقيدته، وفتيًا بأخلاقه، وفتيًا بمعاملاته، وربما تجدُ شابًا صغيرًا يافعًا، مفتول العضلات؛ وليس فتيًا!! فالفتوَّةُ معنى جميل: يدُلُّ على الكرمِ في الأخلاق، والأفهام، والتصورات، والأقوال، والأعمال.

(١) انظر القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ٢٢٢).
(٢) انظر ابن منظور: لسان العرب (٥/ ٣٨١٦).

ثم وصفهم ربنا ﷻ بالإيمان: فالإيمانُ رأسُ الفُتوَّة: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ﴾ فلم يُؤمنوا بالآلهة، ولم يُؤمنوا بالأصنام، ولم يؤمنوا بالمعاني الباطلة التي يضعُها البشرُ قانونًا للناس، ولم يُؤمنوا بأي معنًى فاسِد: كالأهواء والظنون، والآراء الباطلة، وإنما آمنوا بالله -سُبحانهُ-.

﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ هذا دليلٌ على أن الإيمانَ يتجزَّأ، ليس الإيمانُ هيئة واحدة جامدة، لكن الإيمان هيئة مركبة؛ أي: له أفراد وأجزاء ، وأيضًا يزيدُ وينقُص، فربما يزدادُ إيمانُك وقتًا حتى يكونَ أمثال الجبال والغمام، وربما يقِلُّ إيمانُك حتى لا تجِد لهُ في قلبك إلا الوكت- الأثر الخفيف الذي لا يُلتفتُ إليه-رُبما يزيدُ الإيمان، وربما ينقُص الإيمان[1]، قال بعضُ الصحابة -رضي الله عنهم-: إنا إذا ذكرنا الله، وسبَّحناهُ واستغفرناه فذلك زيادتهُ، وإنا إذا نُسِّينا وقصَّرنا وغفلنا، فذلك نُقصانه[2]، فلابُد للمُسلم أن يزداد ، وأن يكونَ مُتعاهِدًا قلبهُ: هل ذلك القلبُ يزدادُ الإيمانُ فيهِ أم يقِل؟ أما إذا استوت عندك الأمور: فهذا دلالة على المرض، فإن العين إذا أبصرت

---

(١) استدل بهذه الآية وغيرها الإمام البخاري على زيادة الإيمان ونقصانه، انظر: كتاب الإيمان-باب قول النبي ﷺ: «بني الإسلام على خمس»، وانظر ابن كثير: تفسير القرآن العظيم (٥/ ١٤٠).

(٢) في إسناده كلام. أخرجه أبي بكر الخلال، أحمد بن محمد (ت٣١١هـ): السنة (١٥٨٢، ١١٤١)، دار الفاروق، المنصورة، مصر، ط١-١٤٢٨هـ=٢٠٠٧م، والآجري في الشريعة (٢١٥)، واللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة (١٧٢١).

كل شيء على هيئةٍ واحدة، دلَّ ذلك على فساد العين، أرأيت إذا استيقظ رجل من نومه فنظر: فوجد أن النافذة نافذة، والنور نورا، والحائط حائطًا، فهذا دلالة على استقامة العين!

أما إذ استيقظ من نومهِ فوجدَ الكونَ كلهُ على طبقٍ واحد مُظلم دامِس، فهذا دلالةٌ على مرض العين، وذهاب حاسّة البصر، وكذلك القلب إذا استوتْ عندهُ الأشياء، لم يُبصِر الأشياء ولم يُميِّزها، ولم يُميز بين الحق والباطل، والظلمةِ والنور، والظل والحرور، وما يُوصِّلهُ إلى الله وما يقطعهُ عن الله، فليعلم أن القلبَ مُظلمٌ مريض! وإذا لم يُسارع في علاجه: فإن ذلك القلب سيموت! وعندها سيكونُ من أهِلِ النار -عافانا الله من ذلك-.

فإن علامة النجاة: سلامةُ القلب[1]؛ وعلامةُ السلامة: تمييزُ الحقِّ من الباطل، والنور من الظلمة، فالأضدادُ لابُد أن تتمايز، وإذا لم تتمايز الأضداد: دلّ ذلك على فساد القلب، فالذي يقول: أنا لا أعرِف أين الحق من الباطل؟ والذي يقول: أنا لا أعرِفُ أين الهدي من الغي؟ فليعلم: أن قلبهُ مُشوش، قال الله - تعالى -: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء:٨٨-٨٩].

---

(١) انظر نحو هذا: ابن القيم، محمد بن أبي بكر (٧٥١هـ): إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (١/ ٨)، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، تحقيق: محمد حامد الفقي (د.ت).

القلبُ تنغرِزُ فيهِ أصولُ الأشياء، فإذا كان القلبُ صحيحًا، نبتت فيهِ هذهِ المعاني، وتجذّرتْ، وتفرَّعت، حتى صارتْ كالأشجار العظيمة: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾ [إبراهيم: ٢٤-٢٥] كذلك الأمرُ بالنسبةِ للقلب، فالمعاني الطيِّبة، من: الأخلاق، والمعارف، والاعتقادات،؛ عندما توضع في القلب وضعًا صحيحًا، وتُروى من ماء المعرفة، وتُتعاهدُ بالإصلاحِ، فإن ذلك القلب: يكونُ قلبًا مُنيرًا كالسراجِ المنـير، أما إذا تُركتَ الأشياء وشأنها: تداخلت الأمور، واضطربت الأشياء، وأصبحـت – أيها المسلم – غير مُميز، وصار حالُك كحال ذلك الفلاح: الذي يغرِسُ الغرسَ ثم لا يتعاهده، فتأتي الحشرات والهوام، والنباتات الضارة فتُفسِدُ ذلك الزرع، وهو نائمٌ في بيتهِ غافِلٌ لا يُتابع!!

فأخبر ربُّنا ﷻ: أن هؤلاءِ آمنوا بالله، وزادهم الله تبارك وتعالى إيمانًا وهدى، ثم يذكرُ ربنا ﷻ: ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا ﴾ الربط: الإيمان والصبر والثبات[1]؛ لهذا كان الربطُ على القلبِ نعمة، فأمُّ موسى عندما كانت مُضطربةً في شأنِ ابنها، ربط الله –تعالى– على قلبها، والمؤمنون عندما كانوا في بداية معركةِ بدر: ربط الله –تعالى– على قلوبهم، فالربطُ على القلبِ

(١) انظر الطبري: تفسـير الطـبري (١٥/ ٢٠٨)، وابن كثير: تفسـير القرآن العظيم (٥/ ١٤٠).

فيه معنى الثبات وفيه معنى القوَّة [1]؛ لذلك يقولون: فلانٌ رابِطُ الجأش؛ أي: مُجتمع القلب، نافذ البصر، والبصيرة[2]، وهذا يكونُ في المواقف المضطربة التي تشابهت فيها الأحداث، وتنازعت فيها الآراء، فإن هذهِ المواقف تحتاجُ إلى: رباطة الجأش، وهنا تكون اللحظات الحاسمة، والمواقف الفارقة؛ لذلك: ليس الإنسان الموفَّق الذي يسير في الاتجاه الصحيح، ولكن الموفق: الذي يُرشِدُ غيرهُ أيضًا إلى الطريق الصحيح؛ لذلك من أعظمِ الناسِ توفيقًا: الأنبياء؛ لأنَّهُم من أكثر الناسِ دلالةً على طريق الله ﷻ.

أما من دلّ الناسَ على غير الطريق، أو من زعمَ أنهُ الطريق، ولم يكُن هو الطريق فإنهُ ليس مُوفَقًّا! فالتوفيق نتيجة لرباطة الجأش! للربطِ على القلب، للآراء السديدة والمواقف الصالحة ، فكذلك: ربطَ الله تعالى على قلوبهم؛ فكانت آراءُهم حكيمة وأفعالُهم سديدة، وكان من أعظمِ هذهِ المواقف: ﴿ إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾.

من الطرائف: أن بعض الصوفية يستدلون على التراقُصِ والطربِ قيامًا كأن يقولوا وقوفًا: الله الله، أو هو هو، هم في ذلك يستدلونَ بهذهِ الآية!! يقولون: ﴿ إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ هذا معناهُ أنهم لم يقولوا: رب السماوات والأرض وهم جُلوس!! وإنما قالوا: ربنا عندما قاموا، وبالتالي: لابد في الذكرِ من القيام!!

(١) انظر القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ٢٢٣).
(١) انظر نحو هذا ابن منظور: لسان العرب (٣/ ١٥٦١).

قلتُ: سُبحان الله! لذلك ليس كل من استدلَّ لك: فهو صحيح!! أرأيتَ هؤلاءِ المُبتدِعة كيف استدلوا على بدعتهم بنصِّ الكتاب؟!! إذن لابُد من النظرِ في الاستدلال، ليس كل من قال: قال الله، وقال رسول الله، يحرِمُ استدلاله، فلابُد من صحةِ الفهم، كما لابُدّ من صحةِ الدليل، فالاستدلالُ يقوم على أصلين:

الأول: صحةُ الدليل: أن يكونَ الدليلُ مُعتبرًا: وهو في القرآن، وصحيح السنة، والإجماع ، والإجتهاد الصحيح .

الثاني: صحةُ الفهم: أن يكونَ الاستدلالُ بهذا الدليل استدلالًا صحيحًا، فإن بعض الرافضة استدلوا على فِسق عائشة-وحاشاها رضي الله عنها وأرضاها، ولعنهم الله- بقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗ﴾ [البقرة:٦٧] قالوا والبقرة هي: عائشة! ما هذا الفهم؟! فهم ركيكٌ عجيب! فإن هذهِ القصة كانت زمن موسى -عليه السلام-! وما بين مُوسى ومُحمد -عليهما الصلاة والسلام-: قرونٌ مُتطاوِلة، فكيف نُنزل هذا على ذاك؟!! أيضًا: ليس في عُرفِ اللغة وخِطابها: أن تُسمى المرأةُ بقرة؛ دل ذلك على أن هذا الفهم ليس فهمًا صحيحًا.

فاستدلالُ بعضِ المبتدعة من الطرقية الصوفية؛ على مشروعية الوقوف عند الذكر[1]، لقول الله ﷻ: ﴿إِذۡ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا﴾ هذا استدلالٌ في

(١) انظر ابن عطية: المحرر الوجيز (٦/ ٢٥٠).

غيرِ محلِّه؛ لذلك المعنى الصحيح: أنّ «إذ» هنا فيها معنى الزمن، أي: واذكُر عندما قاموا.

﴿ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ اختلف في معنى القيام هنا على معنيين [1]:

المعنى الأول: هو القيام بين يدي الملك، وكان ملِكًا ظالمًا كافِرًا، وكانت الملوكُ في الأزمان الماضية يُعبدونَ من دون الله، وكان الناسَ يظُنونَ أن الملوكَ آلهة، ووجِدَ هذا المفهوم إلى القرون الوسطى في أوروبا، كانوا يعتقدونَ أن ملوكهُم أنصافُ آلهة، وأن المِلكَ لا يُخطِئ، ولا ينسى، وأن كلامهُ مُقدَّس، وأن أقوالهُ وأفعالهُ مُقدَسة! إلى أن أسقطَ هذا المفهوم الفرنسيون في ثورتهم، في سياقات لعِبَ اليهودُ فيها دورًا خطيرًا!

ومما يدل على تأليه الناس ملوكهم في الحقب التاريخية السابقة : قوله تعالى: ﷻ: ﴿ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ ﴾ [الأعراف:١٢٧]، هناك قراءتان لقوله تعالى : ﴿ وَآلِهَتَكَ ﴾.

-**القراءة الأولى**: ﴿ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ ﴾ الآلهةُ: جمعُ إله، فهذا دليلٌ على أن فِرعون كان يعبُدُ الآلهةَ من دون الله ، فهو مشرك بالله سبحانه .

---

(١) انظر ابن عطية: المحرر الوجيز (٩/ ٢٥٠-٢٥١)، وانظر: الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ٢٢٣-٢٢٤).

-**القراءة الثانية**: « ويذركَ وإلـٰـهتك» أي: وعبادتك! فهذا دليلٌ على أن فِرعون؛ كان يُعبدُ من دون الله، وهذا قولُ عبد الله بن عباس ﷺ[1].

ويُقصدُ من ذلك: أن الملوك في الزمن الفائت كانوا يُعبدونَ من دون الله، تصوَّر ملِكا يُعبدُ من دونِ الله! يقول: أنا ربُّكُم، وأنا إلهكم، يسجُدُ الناسُ لهُ، ويطلبونه في الأحداث والمصائب والملمات، ثم يأتي شبيبة صِغار ويكفرون بذلك الملِك، فيا تُرى ماذا يصنعُ الملِكُ بهؤلاء؟! المملكة برجالها، وقادتها ووزراءها، وجيوشها الكُلُّ خاضعٌ لهذا الملِك، فهل هذه المجموعة الصغيرة التي هي أقل من عشرة، وكلُّهم شباب صغير على صواب والأمة كلها على انحراف وضلال ؟!!

ماذا يصنع الملِك بهؤلاء؟ إن القرآن قصّ علينا ما قال فِرعون عن موسى وقومه: ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرۡذِمَةٞ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمۡ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴾ [الشعراء:٥٤-٥٦] سُبحان الله! «لغائظون»؛ لأنهم فئة قليلة خالفت الجموع الكثيرة الهادرة، فمسألة المصاولة بين الحق والباطل: موجودة، والمُصارعة بينهما كائنة ومحسومة، ولكن الإشكاليَّة ! وفي الوقت نفسه العظمة والجلال ! عندما يُمثِّل الحق مجموعة قليلة في العددِ ، لا خبرات، ولا إمكانيات، ولا سن، ولا قدرة، يقِفونَ أمام الملك الظالم الكافِر، أمامَ أمةٍ ودولةٍ بإمكانياتها وقواتها، وعددها، هذهِ مسألة صعبة جِدًا وتحتاجُ إلى رباطةِ

---

(١) انظر الطبري: تفسير الطبري (٩/ ٢٥-٢٧).

جأش، وإلى تثبيتٍ من الله!!! لذلك قال ربُّنا ﷻ: ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا ﴾.

قاموا بين يدي هذا الملك الظالم، وهذا مقام صعب، لا يقدر عليه إلا الأفراد؛ لذلك قال رسول الله ﷺ سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ورجُلٌ قام إلى إمامٍ جائر، فنهاهُ، وأمره؛ فقتلهُ[1]. هذا سيدُ الشهداء عند الله ﷻ؛ لأن المقام بين يدي الملوك الظلمة الفجرة : مقامٌ مُرعِب، يأخُذُ بالألباب، عندما تدخُل إلى إيوان المِلك، تجِد الأجناد والقادة والديباج والذهب، والبيارِق والسلاح؛ والدنيا الكبيرة! وأنتَ شابٌ صغير! فماذا تصنع؟

هذا الموقف يحتاجُ إلى تثبيت من الله ﷻ؛ كقول الله ﷻ: ﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء:٧٤]، هذا تثبيت؛ لذلك كان النبي ع يقول: «يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك»[2]

---

(١) حسن. أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٢٣٤-ح٤٩٥٠)، وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه، دار الحرمين، القاهرة، مصر، ط١-١٤١٧هـ=١٩٩٧م، والطبراني في الأوسط (٤/ ٢٣٨-ح٤٠٧٩)، دار الحرمين، القاهرة، مصر، ١٤١٥هـ=١٩٩٥م، والآجري، محمد بن الحسين (ت٣٦٠هـ): الشريعة (٥/ ٢٢٤٥-ح١٧٢٧)، دار الوطن، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط٢-١٤٢٠هـ=١٩٩٩م، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٦٨٥-ح٣٦٧٥)، وأخرجه في السلسلة الصحيحة (٣٧٤).

(٢) إسناده صحيح. أخرجه أحمد (٤/ ١٨٢-ح١٧٦٣٠)، وابن ماجة (٢٠١)، والترمذي في السنن الكبرى (٧٧٣٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع=

فالأشياء التي تصرف القلب وتُفسدهُ: كثيرة ومتنوعة، فالإنسان عندما ينظُر في عالم المـادة والشهادة: يجِدُ استطالة الباطل، وقوة الباطل، وحشد الباطل، رُبما يُصيبهُ رُعب؛ وربما تأخُذُ هذهِ الأشياء بقلبه، فإذا كان مُوحِّدًا مُؤمنًا :لم يوجد في قلبـهِ إلا الحق، فيتضاءل الباطل أمام عينهِ، ولو كان قويًا كثيرًا، فالرباطة: أن تـرى الكثيـر قليلًا، وأن ترى القويَّ ضعيفًا؛ لأنكَ مُعتصِمٌ بالله، مُتوجِّهٌ إلى الله، واثِقٌ في الله، متوكِّلٌ على الله، فأنتَ بالله ولله، وهذهِ هي الرباطة.

لذلك قال: ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ هذهِ نعمةٌ من الله، فلا يُقاسُ الحقُّ أبدًا بالكثرة؛ ولا يُقاسُ الحقُّ أبدًا بالدولة، ولا يُقاسُ الحقُّ أبدًا بالصولة، وإنما يُقاسُ الحقُّ بالثبات: وما تضمَّنهُ من الخير؛ لذلك قال ربُّنا ﷻ: ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا ﴾.

المعنى الثاني: ﴿ إِذْ قَامُوا ﴾ أي: قاموا من نومِهم، يُمكن أن يتنازعوا! سُبحان الله! تجِد الناس هادِئين؛ فإذا اجتمعوا في سفر، دبَّ الشيطانُ بينهم بالخلاف، فتنازعوا، وتشاجروا، فهذا يقول: نسلكُ هذا الطريق، والثاني يقول: لا، بل هذا الطريق. يقول بعضُهم: نُسافر ليلًا، ويقول الآخر: لا، السفرُ بالنهار أفضل، أحدهم يقول: ننام هنا؟ والآخر يقول: لا، ننام هنا أفضل! وهكذا؛ لذلك لولا أن يُوفِّقَ الله- تعالى- الناسَ فيما بينهم؛ لفسدتْ

=(٧٩٨٨).

أمورهم، وتعاركت حياتهم وتدابرت !!

﴿ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ إما أن يقولوا: هذا بين يدي المِلك؛ عندما رأوا هذهِ الدولة والصولة! قالوا: ربنا ليس أنتَ أيها الملك الكافر، وإنما ﴿ رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ، أرأيتَ هذهِ القوَّة! هم لم يخافوا، ولم ترتعِد فرائصُهم، ولم ينكمشوا ليُقدِّمَ بعضهُم بعضًا للكلام فيخاف أن يتكلم، هذا لم يحدُث، ولكن تكلموا بلسانٍ واحد؛ لأن القلبَ مُجتمعٌ على معنًى واحد، لم يخافوا فيُقدِّموا أحدهُم، بل ذكر ربنا ﷻ القولَ بصيغةِ الجمع؛ للدلالةِ على التوافق، وأنهم كانوا على قلب رجل واحد ، فقال سبحانه : ﴿ فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا مِن دُونِهِ إِلَٰهًا ﴾ هذا توضيحٌ لمعنى: الربوبية، فمن عرفَ الربَّ -سُبحانهُ وتعالى- حقَّ المعرفة: أثبتَ لهُ الألوهيَّة، فالألوهيَّة[1]: أن تعبُد الله -تعالى- بأفعالِكَ أنتَ، أن تُوحِّدَ الله -تعالى- بأفعالِكَ أنت، إذا كُنتَ تعتقِدُ بأن هناك إلهًا واحدًا لهذا الكون، مُدبرًا أمره، مُحكمًا حُكمه : لا يخرجُ شيءٌ في ذلك الكون عن أمرهِ وقهرهِ؛ ماذا سيكونُ حالك وأنت تعبُد هذا الملك الجليل؟ وكلما تأمّلت وتدبَّرتَ، وأمعنتَ وشاهدت، كلما ازدادت معرِفتُك، وكلما ازداد حُبُّك، وكلما ازداد تعظيمُك:

---

(١) انظر في هذا: ابن أبي العز، علي بن علي بن محمد (ت٧٩٢هـ): شرح العقيدة الطحاوية (١/ ١٢٥ : ١٣٣)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، تحقيق: الأرناؤوط، والتركي، ط٢-١٤٢١هـ=٢٠٠١م، وانظر: الحكمي، حافظ بن أحمد (ت١٣٧٧هـ): معارج القبول (١/ ١٢١)، دار ابن الجوزي، الرياض، السعودية، ط٣-١٤٢٦هـ.

ازدادت طاعتُك، وعظم انقيادُكَ لله ﷻ ، فهؤلاء الفتية أثبتوا التوحيد في الربوبيَّة، وأثبتوا التوحيد في الألوهيَّة؛ ﴿فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ولم يكتفوا بهذا!! ولكن قالوا: لن ندعو مع ذلك الإله الكريم العظيم إلهًا آخر ﴿لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا﴾؛ لأننا لو جعلنا مع الله إلهًا آخر ﴿لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا﴾ كان هذا القولُ شططًا، كان هذا كذبا فاسِدًا ومُنحرِفًا وضلالا[1].

فالتوحيدُ: أن تعبُد الله تعالى بأفعالِكَ أنت، وأن تعظم الله -تعالى- بقلبِك، وأن تتوجه إلى الله -تعالى- بوجهك، فإذا فعلتَ ذلك كُنتَ قائمًا على التوحيد، فالتوحيد نِظامُ حياة، ومنهجُ استقامة، ليس فيهِ انحراف، من انحرفَ عنهُ: وقعَ في الشطط، ومن شطَّ عنهُ: زلّ، ومن زلّ فيهِ: غوى، ومن غوى فيهِ- والعياذُ بالله-: ردى وكان من أهل النار.

لذلك: ليست الرافضة من أهل التوحيد، لا في صدرٍ ولا في وِرد، لا في ألفٍ ولا في ياء، بل إنها: أمةٌ ضالّة، مُنحرفةٌ عن القصد، بعيدةٌ عن الدين، دينُها لم يأتِ بهِ مُحمد ﷺ، فإن الدين يقومُ على أصول، وهُم لم يُحقِّقوا أي أصلٍ من هذهِ الأصول، نحنُ نُحفِّظُ أولادنا منذ الصغر: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن مُحمدًا رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء

---

(١) انظر نحو هذا الطبري: تفسير الطبري (١٥-٢٠٧-٢٠٨).

الزكاة وصوم رمضان وحج البيت»[1]، ونرسخُ فيهم هذا الحديث، أما هذهِ الأمَّة الرافضية الإمامية المُسماة بالشيعة، فهم لا يقولون بهذا الحديث، بل إن مصادرهم تذكر حديث ابن عمر ﷺ لكن بسياق مختلف، هو : «بني الإسلام على خمس: أول شيء في الدينِ عندهم: عِصمةُ الأئمَّة، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت»[2].

فجعلوا عِصمة الأئمَّة في مُقابل توحيد الله ﷻ وتوحيد النبي ﷺ بالاتباع، فالتوحيد والمتابعة ليسا عندهم ، ولذا فهم أمة بدعية ضالة! فتحصل أنه ليس عندهم توحيدٌ ولا سُنَّة، بل عندهم شِركٌ وبِدعة، وبالتالي أصول دين الشيعة الرافضة، وهم: الإمامية الجعفرية الإثنا عشرية: الشِّركُ والبدعة، فالإمامُ عندهم: ليس كالإمامِ عندنا، الإمامُ في أمةِ الإسلام: مهتدٍ يأخُذُ الناس إلى الله ﷻ ، يدل الناس على الدين، ويُعينُ الناسَ على معرفة الطريق، فالإمام أو الشيخ أو العالم في أمة الإسلام كالنبي في أمةِ بني إسرائيل، أما هؤلاء، فإن الإمام عندهم أفضل من النبي؛ فالإمامُ معصوم[3]، ولهُ منزلةٌ عند الله لم يبلُغها

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري (٨-الإيمان)، ومسلم (١٦-الإيمان).

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق (ت٣٢٩هـ): الكافي (٢/ ١٥)، منشورات الفجر، بيروت، لبنان، ط١-١٤٢٨هـ=٢٠٠٧م.

(٣) المفيد، أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان (ت٤١٣هـ): أوائل المقالات (ص/ ٦٥)، تحقيق: إبراهيم الأنصاري، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، ط١-١٤١٣هـ.

ملكٌ مُقرّب ولا نبيٌّ مُرسل، والإمامُ عندهم له سلطانٌ كوني حتى على ذرات الكون[1]، إنهم يعتقدون ذلك، وبالتالي لا يجوزُ لهذا الإمام ما يجوزُ لسائر البشر، فهو لا يُنسّى، ولا يغفل[2]، ولا يُنتقص[3] منه، ولا يُخالف[4] إلى غير ذلك.

النبي ﷺ كان في الصلاة فارتُجَّ عليهِ في الصلاة! نُسيَ في الصلاة؛ فصلى صلاةً رُباعيَّة؛ صلاها ركعتين [5]، والنبي ﷺ مرِض، ومات النبي ﷺ بالحُمَّى[6]، اشتكاها أيامًا كثيرة، وبداية شكواه: أن عائشة رضي الله عنها قالت: وارأساه، فقال النبي ﷺ: «بل أنا وارأساهُ»[7]، فكان ذلك بداية شكواهُ ﷺ، وأصابهُ في الحُمّى ما يُصابُ المحموم، والنبي ﷺ فُتِحَ عليهِ في الرأي؛ وذلك في مواقف كثيرة؛ وكلها صحيحة، ونزلَ الوحيُ بموافقةِ بعضِ

---

(١) الخميني، روح الله بن مصطفى بن أحمد الموسوي (ت١٤٠٩هـ): الحكومة الإسلامية (ص/ ٥٢)، ط٣.

(٢) المجلسي الثاني، محمد باقر بن محمد تقي المجلسي (ت١١١١هـ): العقائد (ص/ ٦٥)، تحقيق: حسين دركَاهي، مؤسسة الهدى، قم، إيران، ط١-١٤٢٠هـ.

(٣) النوري الطبرسي، حسين بن محمد تقي (ت١٣٢٠هـ): مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل (١٨/ ١٠٧)، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، بيروت، لبنان، ط٣-١٤١٢هـ=١٩٩١م.

(٤) الكليني: الكافي (١/ ١٠٨-١١١).

(٥) متفق عليه. أخرجه البخاري في غير موضع (١٢٢٧-ما جاء في السهو والأذان)، ومسلم (٥٧٣-المساجد ومواضع الصلاة)، من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-.

(٦) أخرجه البخاري (٤٤٣٦-المغازي)، (٣٣٨٥-أحاديث الأنبياء).

(٧) أخرجه البخاري (٧٢١٧-الأحكام).

أصحابهِ في مسائل، كما حدث مع عمر بن الخطاب ﷺ حيث قال: «وافقت ربي في ثلاث»[1].

لكن هؤلاء الرافضة يعتقدون أن إمامهُم أفضل من رسول الله ﷺ[2]. والأئمَّة يبتدؤون بعلي ﷺ[3]، وينتهونَ بطفلٍ[4] يزعمونَ - كذِبًا - أنهُ سقط في السرداب[5]، وسيظهرُ في آخر الزمان[6]، فماذا يصنع هذا المهدي الذي يظهر في آخر الزمان؟ يا تُرى: هل ينشُر الإسلام؟ هل يقضي على اليهودية والنصرانية؟ هل يقتُل الخنزير؟ هل يكسر الصليب؟ هل يضع الجزية؟ هل تربو الدنيا في زمنه، ويفيض الخيرُ في عصره؟ وينتشِرُ التوحيدُ في أوانهِ؟

الجواب: لا، وإنما مهديهم يأتي فينبُش قبور الصحابة ﷺ ويصلُب أبا بكرٍ

---

(١) أخرجه البخاري (٤٠٢-الصلاة)، ومسلم (٢٣٩٩-فضائل الصحابة)

(٢) الخميني: الحكومة الإسلامية (ص/ ٥٢).

(٣) الكليني: الكافي (١/ ١٧٦-١٧٨).

(٤) الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي (ت٣٨١هـ): كمال الدين وتمام النعمة (ص/ ٣٨٩-٣٩١)، تحقيق: حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط١-١٤١٢هـ = ١٩٩١م.

(٥) الماحوزي، سليمان بن عبد الله البحراني(ت١١٢١هـ): الأربعون حديثا في إثبات إمامة أمير المؤمنين (ص/ ٢٢٧)، تحقيق: مجدي رجائي، قم، إيران، ط١-١٤١٧هـ.

(٦) النعماني، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن جعفر (ت القرن الرابع الهجري): الغيبة (ص/ ١٨٠)، تحقيق: حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط١-١٤٣٤هـ = ٢٠١٣م. (ص/ ١٦٨).

وعمر رضي الله عنهما [1] هذا هو المهدي عندهم!!

إنهم يعتقدون بتحريف المُصحف! [2] ويعتقدون بكُفر الصحابة رضي الله عنهم [3]، ويعتقدونَ بدنسِ أهلِ السنة! [4] ويعتقدون أن أقرب القُربات إلى الله عز وجل: أن تقتُلَ سُنيًا، هذهِ أفضل قُربة إلى الله قتل السني، إن استطعتَ أن تذبحهُ، أو أن تهدِمَ عليهِ جِدارًا [5] أو أن تحرِقه؛ كانت هذهِ أفضل القربات عند الله عز وجل!!!

لذلك إذا رأينا ما صنعهُ الشيعة الرافضة في إخواننا في العراق، لرأينا أمرًا عجبًا، فهم لم يقتلوا أحدًا بالرصاص، وإنما كان القتلُ بالتحريق، وكان القتلُ

---

(١) المجلسي الثاني، محمد باقر بن محمد تقي المجلسي(ت١١١١هـ): بحار الأنوار (٥٣/ ١١-١٣).، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط١- ١٤٢٩هـ=٢٠٠٨م.

(٢) المجلسي الثاني، محمد باقر بن محمد تقي المجلسي (ت١١١١هـ): مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول (١٢/ ٥٢٥)، دار الكتب الإسلامية، طهران، إيران، ط٢- ١٤٠٤ه.

(٣) المفيد، أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان (ت٤١٣هـ): الاختصاص (ص/ ١٨)، تحقيق: علي أكبر غفاري، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط١- ١٤٣٠هـ = ٢٠٠٩م.

(٤) نعمة الله الجزائري، نعمة الله بن عبد الله بن محمد بن حسين (ت١١١٢هـ): الأنوار النعمانية (٢/ ٢٦٧)، تقديم وتعليق: محمد علي القاضي الطبطبائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط١-١٤٣١هـ = ٢٠١٠م.

(٥) الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي (ت٣٨١هـ): علل الشرائع (٢/ ٥٨٤-٥٨٥)، دار المرتضى، بيروت، لبنان، ط١- ١٤٢٧هـ=٢٠٠٦م.

بالتمثيل، يُجدعون ويقطعون الأطراف، ويحرقون الأبدان، ويجتثونَ الرقاب بالمِنشار، ويأتونَ بالأعاجيب؛ ليتقربوا بهذا إلى الله ﷻ، فإنهم – في زعمهم – لن يصِلوا إلى رضوان الله، إلا إذا تقربوا إلى الله بدماءِ أهلِ السنة [1]!!!

ولهم تاريخ أسود مُظلم، فكانوا جرحًا لم يندمِل، وكانوا نصلًا مسمومًا في خاصِرة المسلمين على مدار التاريخ، هؤلاءِ القوم: يُريدونَ التغلغُلَ في ديار أهل السنة ويُريدونَ الانتشار، ولن يُقاوموا بالإمكانيات المادية، وإنما يُقاومون بنشرِ السُنة ونشر العلم، فما من بدعةٍ ولا كُفرٍ انتشر إلا كان نشرهُ دلالة على رفع العلم في ذلك المكان[2]، اثنان لا يجتمعان: السنةُ والبدعة، العلمُ والجهل، فالضدان لا يجتمعان أبدا[3]، فدينٌ قائمٌ على الجهل، قائمٌ على الشرك، قائمٌ على البدعة، هذهِ المذكورات لن تُحاربَ بالأموال، وإنما تُحارب بالسنةِ والتوحيد والعلم.

ولهذا نحنُ نُريدُ شبابًا يتعلمُ دين الله، ويتعلمُ مع دين الله الأخلاق الفاضلة، فالخُلُقُ الحسن: هو المُظهرُ للإسلام، ولابُدَّ لصاحب الديانةِ أن

---

(١) الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي = =(ت٣٨١هـ): علل الشرائع (٢/ ٥٨٤-٥٨٥)، دار المرتضى، بيروت، لبنان، ط١-١٤٢٧هـ=٢٠٠٦م.

(٢) يؤيد ذلك ما اتفق عليه الشيخان، البخاري (٨٠-العلم)، ومسلم (٢٦٧١-العلم) من حديث أنس بن مالك –رضي الله عنه-.

(٣) راجع موقع موسوعة الرشيد الإلكتروني http: / /www.alrashead.net/ وموقع فيصل نور الإلكتروني http: / /www.fnoor.com/ .

يكونَ قُدوةً صالحة؛ ليحدُثَ التأثير، وليقومَ التغيير ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[الرعد: ١١].

فالمرجو: أن كل من ظهرَت عليهِ ملامحُ البدعة، أو وقعَ في براثِنِ هذهِ الفئةِ الضالة: أن يُدعى إلى الله ﷻ، أن يُدعى إلى الإسلام، أن يُدعى إلى تطهيرِ قلبهِ من عبادة الأوثان، أن يُدعى إلى التوحيد الخالِص، أن يُدعى إلى الاستقامةِ على الطريق، وهذا يحتاجُ إلى جهدٍ جهيد، وعملٍ دؤوب ، وهذا كان حال فتية الكهف، الذين آمنوا بربهم ؛ فزادهم الله -تعالى- هُدى، وربط على قلوبهم، وأيدهم بالآيات الباهرات التي تدُلُّ على صِدقهم، وصدق عزمهم وتوجُّههم، إنهم اعتزلوا قومهم وما يعبدونَ من دون الله، ولم يعبدوا إلا الإله الواحد الأحد، الفرد الصمد، اعترفوا لهُ بالعبودية، وأفردوهُ بالألوهية، وفاصلوا قومهم، مُنابذينَ إياهم؛ فهداهم الله -تعالى- إلى هذا الكهف، وأجرى الله -تعالى- فيهِ من الآيات، ما ذكر في سورة الكهف، فقال -تبارك وتعالى-: ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الكهف:١٧] بعد أن دخلوا هذا الكهف فارِّين بدينهم، مُوحِّدين ربَّهُم أجرى الله -عز وجل- لهم آية عظيمة من آيات الله، أن يُسخِّرَ الله -تعالى- الكونَ لهم، وهذا الأمرُ ليس مُدهِشا، وليس مُستحيلا، فإن هذا الكونَ مِلكُ الله ﷻ ومُلكُه، والله -تعالى- يُجري في مُلكهِ ومِلكهِ ما يريد، لا رادَّ لأمره ولا مُعقِّبَ لحُكمه، يفعلُ ما يشاء، ولا

يُسألُ عما يفعل ﷻ، لقد ثبتَ في الصحيح: أن نبي الله يُوشع؛ أمرهُ الله ﷻ أن يغزوَ قرية، فلما توجَّهَ إليها كادت الشمسُ أن تغرُب، فنادى هذا النبي الشمسَ وقال لها: «إِنَّكِ مَأْمُورَةٌ وَأَنَا مَأْمُورٌ اللَّهُمَّ احْبِسْهَا عَلَيْنَا، فَحُبِسَتْ حَتَّى فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ»[1]

يا إلهي!! الزمنُ يتوقَّف بأمرِ الله، وحركةُ الكونِ تقِفُ لأمرِ الله؟! لقد وقفتْ الشمسُ ولم تتحرك، حتى كان القِتالُ بين هذا النبي وبين أعداءِ الله، وما أدراك ما كونُ القتال؟! إنه لا يستغرِقُ دقيقة، وإنما يستغرِقُ أوقاتا، وفتحَ الله عليه، ودخل القريةَ ولما تغرُب الشمس!

سُبحان الله! إن النار من شأنِها أن تُحرِق، فهذهِ سُنَّةٌ أجراها الله ﷻ في النـــار، حتى أنهم يقولون: إن من خصائصِ النار: الإحراق بأمرِ الله ﷻ، وبأمرِ الله ﷻ أبطلَ الله – تعالى – هذهِ الخصيصة، فعندما ألقيَ إبراهيمُ في النار لم تحرِقهُ النار، بأمرِ الله ﷻ، «قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم» [الأنبياء:٦٩].

إن الطعام القليل يأكلهُ العددُ القليل، ولا يُمكن لطعامٍ قليل يأكلهُ النفر الكثير، أي أن يأكلهُ الآلافُ من الناس، هذا أمرٌ لا يُمكن أن يُصدَّق، ولكنهُ وقعَ لرسول الله ﷺ، عندما اجتمعَ على النِّطَع شيءٌ يسير من الطعام؛ وكان

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري (٣١٢٤-فرض الخمس)، ومسلم (١٧٤٧-الجهاد والسير) من حديث أبي هريرة –رضي الله عنه–.

الجيشُ ثلاثين ألفا أو يزيدون، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَوْ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ - شَكَّ الْأَعْمَشُ - قَالَ: لَمَّا كَانَ غَزْوَةُ تَبُوكَ أَصَابَ النَّاسَ مَجَاعَةٌ، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، لَوْ أَذِنْتَ لَنَا فَنَحَرْنَا نَوَاضِحَنَا، فَأَكَلْنَا وَادَّهَنَّا، فَقَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «افْعَلُوا»، قَالَ: فَجَاءَ عُمَرُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، إِنْ فَعَلْتَ قَلَّ الظَّهْرُ، وَلَكِنْ ادْعُهُمْ بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ، ثُمَّ ادْعُ اللهَ لَهُمْ عَلَيْهَا بِالْبَرَكَةِ، لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَجْعَلَ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «نَعَمْ»، قَالَ: فَدَعَا بِنِطَعٍ، فَبَسَطَهُ، ثُمَّ دَعَا بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ، قَالَ: فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِكَفِّ ذُرَةٍ، قَالَ: وَيَجِيءُ الْآخَرُ بِكَفِّ تَمْرٍ، قَالَ: وَيَجِيءُ الْآخَرُ بِكَسْرَةٍ حَتَّى اجْتَمَعَ عَلَى النِّطَعِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ يَسِيرٌ، قَالَ: فَدَعَا رَسُولُ الله ﷺ عَلَيْهِ بِالْبَرَكَةِ، ثُمَّ قَالَ: «خُذُوا فِي أَوْعِيَتِكُمْ»، قَالَ: فَأَخَذُوا فِي أَوْعِيَتِهِمْ، حَتَّى مَا تَرَكُوا فِي الْعَسْكَرِ وِعَاءً إِلَّا مَلَئُوهُ، قَالَ: فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا، وَفَضَلَتْ فَضْلَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ الله، لَا يَلْقَى اللهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ، فَيُحْجَبَ عَنِ الْجَنَّةِ»[1]

يا إلهي!! الزنابيل وغيرها من الأوعية ، كل هذهِ الأشياء وغيرُها مُلئتْ من هذا الطعام اليسير؟! إذا هناك عشرات الآلاف من الأوعية : امتلأت من هذا الطعام، وفضلتْ فضلة، ذكرُ هذهِ الأشياء أمرٌ معروف؛ وهو واقِعٌ مُشاهد؛ لم يرِد إلينا عن طريق الخبرِ فقط، وإنما نُشاهِدهُ ما يكون بنحوه دائما وأبدا، فالكونُ كُلُه لهُ عبوديةٌ لله، قال الله -عز وجل-: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا

(١) أخرجه مسلم (٢٧-الإيمان).

يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ [الإسراء:٤٤]، فنحنُ جاهِلونَ جِدا قال الله: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾.

فتأمل معي ما أحدثَ الله – تعالى – بأمرِهِ لهؤلاءِ الفتية، وهم شبيبة صِغار، ذو أعمار قليلة، دون العشرة، يهربونَ بأنفُسِهم إلى الله، ليس معهُم زاد ولا ماء، ليس معهم قوَّة ولا عتاد، طائفة يسيرة، عندما دخلوا الكهف، قال ربنا ﷻ: ﴿ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت ﴾ معلومٌ أن الشمس تُؤثِّرُ في الكائنات، وهم كانوا نِياما، فلو أن الشمسَ سُلِّطت عليهم طُوال النهار وغربت وهي مُسلطةٌ عليهم أياما وأياما، سيتحللونَ في مكانهم، وسيرمُّون في مكانهم، ولكن الله تبارك وتعالى أمر الشمس إذا طلعت أن تنحرِفَ قليلا حتى لا تُصيبَهُم، هنا حركة الشمس تتغير بأمرِ الله ﷻ، حتى لا تقع أشعة الشمس عليهم؛ ﴿ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ﴾ تزاور: تعدل وتميل، و«تقرضهم» في معنى المُزاورة؛ أي: تميل عنهم[1]، «وهم في فجوةٍ منه» أي: في الكهف، فالكهفُ: فتحةٌ في الجبل، وفي وسطِ هذا الكهف فجوة، وهي المتسع[2]، وهذا المكان الواسع كانوا يجلِسونَ عليه إذْ ضُرِبَ عليهم بالرَّقد فرقدوا، هذا الحَدَث وصفهُ ربنا ﷻ بالإشارة

---

(١) انظر الطبري: تفسير الطبري (١٥/ ٢١١-٢١٢)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/ ٢٢٧-٢٢٨).

(٢) انظر الطبري: تفسير الطبري (١٥/ ٢١٢)، والقرطبي الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ٢٢٩).

فقال: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ أن حركة الشمس، ونزول الأشعَّة تتغير وتنحرِف من أجلِ هؤلاءِ الفتية، هذهِ هيَ القضيَّة، فانهزام المسلمين، وذِلَّةُ المسلمين، ليس من أجلِ الضعف المادي أو التقني أو الاقتصادي أو البشري، وإنمـــا الذلة التي ضربتْ بأطنابها على المسلمين: أنهُم لم يسيروا في الطريق إلى الله ﷻ! هؤلاء الفتية ليس عندهم حظٌ كبير من عِلم، ولا تفقُّه، حالُهم أنهم أرادوا الله ﷻ، فساروا في الطريق الصحيحة، فأحدثَ الله -تعالى- لهُم من الآيات ما أحدث.

ثم زكَّى الله - تعالى - حالهُم أنهُ هداهم وثبَّتهُم، وسدَّدهُم، فقال ﷻ: ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾ [الكهف:١٧]، ثم قال ربُّنا سُبحانهُ: ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ﴾ من نظرَ إليهم ظنَّهُم أحياء؛ ربما لأن أعينَهُم مفتوحة، وربما تتحركُ أعيُنهم، وربما تتحركُ أطرافُهم، فإن الناظِرَ إليهم يظُنُّهم أحياء، فالحياةُ تُساوي الحركة، فهذا دليل على أن صورتهم لم تكُن صورةَ الأموات، بل إن الناظِرَ إليهم يحسبُهم أحياء ، إما بحركةِ أعيُنهم، أو بحركةِ أطرافهم، أو رُبما بحركةِ قلوبهم وتنفُّسِهم، هذا كلُّهُ محتمل!

﴿ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ﴾ ثم انظُر أن الفعلَ أُسنِدَ إلى الفاعل وهو الله، وتجِد أن كل الأفعال في هذا السياق أُسنِدتْ إلى الله ﷻ؛ فالله -تعالى- هو الذي يُحدِثُ ما يشاء بأمرهِ سُبحانه.

لماذا التقليب؟! لأنهم إن كانوا على حالةٍ واحدة أصابتهُم الأرضُ بقِراحِها، وهذا أمرٌ معلوم، فالإنسان عندما ينام يتقلَّب، يُقلبهُ الله ﷻ في نومه؛ لأنهُ لو مكثَ على جنبٍ واحد مُدَّة طويلة ثم استيقظ سيجدُ بدنهُ هذا مُجهدا، تقول: أنا نمتُ كثيرا وعندما قمُت وجدت جسمي مكسرا، هذا التكسير: هو أنكَ لم تتقلب في نومِك، والأعظمُ من ذلك: أن الأرض ربما تُصيبُ بدنك بالقُرحِ، وربما بما هو أعظمُ من ذلك، الأرض: ربما تأكُلُ لحم المريض، الرجُل إذا نام مُدة طويلة يوما أو يومين أو أسبوعا أو أكثر، فإن الأرضَ تأكُلُ لحمه.

كيف نجَّاهُم الله ﷻ من هذهِ القراح، ومن أكلةِ الأرض، ومن تكسير الأبدان؟! بأنَّ قلَّبهُم ذات اليمين وذات الشمال. سُبحان المِلك!

وماذا عن كلبِهم؟ ﴿ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ﴾ لم يقُل: وكلبهم «يبسُطُ»، وإنما قال: « باسطٌ» للدلالةِ على المُضيِّ والاستقبال[1]، إذا حالُهم في الماضي والآن والمستقبل أن كلبهم باسِطٌ ﴿ ذِرَاعَيْهِ ﴾ على عتبةِ الكهف أو باب الكهف[2]، منظر عجيب ينامون ولكنهم يتحرَّكونَ ويتقلَّبون، وتتحرك أبدانهم، ولا يتحلَّلون؟! لك أن تعلم أنهم مكثوا أكثر من ثلاثمئة سنة في هذه الحال، سُبحان الله!!

قال ربنا ﷻ: ﴿ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ لم يطَّلِع عليهم أحد، لكن لو اطلع

---

(١) انظر ابن عطية: المحرر الوجيز (٩/ ٢٦٣).

(٢) انظر ابن عطية: المحرر الوجيز (٦/ ٢٦٣)، والطبري: تفسير الطبري (١٥/ ٢١٥).

عليهم أحد، قال ربنا: ﴿ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴾ هذا الرعب الذي يُصيبُ قلبك، لما ألقي عليهم الله – تعالى – من المهابة ، فما من أحـدٍ يطَّلِعُ عليهم إلا أصابهُ الرهبُ والخوف[1]! وهذا أيضا من جُملةِ آيات الله ﷻ.

قال ربنا ﷻ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ ﴾ أي: أحدثنا لهُم ما سمِعتُم أيها المسلمون، هديناهُم وسدَّدناهم، وربطنا على قلوبهم، وجعلناهم مُوحِّدين، وقفوا أمام البُغاة الكفرة الظالمين فلم يخافوا، ولم يتقاعسوا، ولم تلِن لهُم قناة، وهديناهم إلى الفِرار، وألجأناهُم إلى الكهف، وأحدثنا لهُم من الآيات الباهرات: في الشمسِ، وفي الأبدانِ، وإلقاء المهابةِ عليهم.

يُمكـن أن (تُحـدِثَ) فصـلا بـين ﴿ وَكَذَٰلِكَ ﴾ وقولهِ: ﴿ بَعَثْنَٰهُمْ ﴾.

قال الله: ﴿ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ﴾ هذا إظهارٌ لقدرةِ الله ﷻ، عندما تقرأ في كلام الله تتأمل قدرة الله ﷻ النافذة ومشيئتهُ الماضية؛ لتعرِفَ ربَّك، ولتزدادَ لهُ حُبا، ولتزدادَ لهُ خُضوعا.

﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ﴾ هذا سؤال طبيعي، فكثيرا ما نسأل نسلنسأل جِدا عندما ننام ونستيقظ، فنقول-مثلا-: كم ساعة نمتُ هذا اليوم؟ وأنتَ كم نِمتَ البارحة؟ هذا سؤال طبيعي جِدا، فلا يعنينا من القائل؟

---

(١) انظر القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ٢٣٤).

ومن الذي أجابهُ؟ وإنما تعنينا الفائدة المُستكنَّة في بطنِ النصّ ﴿ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ﴾ كم: الظرفية، والمعنى: كم يوما لبثتم[1] ﴿ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ لم يعلموا كم من السنين قد لبِثوا، فقالوا: لبثنا يوما أو بعض يوم، فيا تُرى هل قالوا ذلك استدلالا؟ أم قالوا ذلك إلهاما؟! الله أعلم؛ ربما قالوه استدلالا، ربما دخلوا عند الصباح، فكان قِيامُهم عند الغروب[2]، فقالوا: لبثنا يوما، إما أن يكونَ يوما بتمامِهِ، أو جُزء من اليوم، فاليوم بالتمامِ: من الصباح إلى الصباح، أو من الغروب إلى الغروب، إذا ربما لبثنا يوما بتمامِهِ، أو ربما لبِثنا بعض اليوم، فهذا استدلال!

وربما يكونُ إلهاما؛ ألهم الله - تعالى - بعضهم أن قالوا: ﴿ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ هنا فائدة لطيفة ، وهي أن النِّقاش إذا فُتِح، فرُبما يُذهِبُ بالأوقات، بل رُبما يُذهِبُ بالمودَّة، أحيانا كثيرة النقاشُ إذا كان في مجهول، وإذا لم يوصل إلى ما يترتب عليه عمل أو يُعتقد أنه يترتب عليه عمل، فالأفضل أن يُغلقَ هذا النقاش، سلْ في أي نقاش: هل هذا النِّقاش ستترتب عليهِ فائدة؟ والفائدة: إما عمل، وإما اعتقاد.

من **جُملة الأعمال: المواقف مثل**: أن نُناقِش كيفية إيصال المساعدات إلى

---

(١) انظر العكبري ، عبد الله بن الحسين (ت٦١٦هـ) : التبيان في إعراب القرآن (٢/ ٨٤٢) ، دار الجيل، بيروت، لبنان ، ط٢ ـ ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م .

(٢) انظر بنحوه القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ٢٣٦)، وانظر ابن كثير: تفسير القرآن العظيم (٥/ ١٤٥)

المسلمينَ في بورما، إذا هناك نِقاش في هذهِ المسألة، وهذا النِّقاش يكونُ مُنتِجا؛ لأنهُ سينتهي بقرار أننا سنوصِل المساعدة بالطريق الفلاني، فلا بأس بهذا النقاش.

لكن إذا كان النِّقاش لا تترتب عليهِ فائدة، فلِم النِقاش الذي سيُذهِب بالأوقات، ويملأ القلوب بالضغائن والإحن؟!، وربما يأتي الشيطانُ بعقاربهِ؛ ليدُبَّ بين المُتحابِّين؟!؛ لذلك أكثر ما تفسد به المودَّة : كثرة المناقشات غير المُنتِجة.

للرجل مع زوجتهِ: نِقاشات: لماذا صنعتِ كذا؟ وما دخلُك في هذا؟! كيف تقولين ذلك؟! هذا النِقاش كثيرا ما ينتهي بمُشكلة عظيمة، والأوفق: أن ينتهي النِّقاشُ سريعا، النبي ﷺ سمّى النِّقاش غير المُنتِج : جدلا ومِراء، فقال ﷺ: «أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحا، وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ»[1] إياك أن تُماري، لا تكُن حديدا في مُناقشتِك، ولا تُضيِّق على الآخرين في النِّقاش، سل نفسك، هل هذا الأمرُ مُفيدٌ أم لا؟ لو كان غير مفيد؛ إذا دعهُ جانِبا.

هؤلاء الفتية كم من الأيامِ رقدوا؟ لا يعلمون، لو قالوا: يوما؟ ربما يقول: لا، بعض يوم؟ ربما لا. ربما يومان؟ الله أعلم!

---

(١) حسـن. أخرجه ابن ماجة (٥١)، وأبو داود (٤٨٠٠)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٧٣).

لو اتسع الوقت للنقاش ، لربما اختلفت القلوب؛ لهذا كان من أفضل الإجابات هذهِ الإجابة الجامعة في قوله: ﴿ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ لعلَّ هذهِ من أفضل الإجابات، ومع ذلك، تعدُّوا وتجاوزوا هذا النِّقاش، فقالوا: ﴿ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ ﴾ لماذا قالوا ذلك الأمر؟ لأنهُ ليس عندهم أدوات تضبِط الأوقات، وربما وقعَ في قلوبهم أن أمرا كونيا قد حصلَ لهُم، فلو كان الأمرُ معلوما لديهم ما وقعَ خلاف، ولكن الخِلاف والنقاش دليل على جهلهم مُدةَ المُكث؛ لذلك تركوا الأمرَ إلى عالمِهِ[1] فقالوا: ﴿ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ ﴾.

وهم في هذا الوقت كانوا جوعى، فقالوا: ﴿ فَابْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا ﴾ [الكهف:١٩]، «الورق»: الفضة، وهي عملةٌ موجودةٌ في ذلك الوقت، سواء كانت مصكوكة أو لم تكن مصكوكة، سواء كانت مادة خام، أو كانت مصنوعة على صورة النقود «المدينة»: التي خرجنا منها، من أجلِ أن يأتينا بطعامٍ لنأكُلَ منهُ؛ ولكنهم قالوا: ﴿ وَلْيَتَلَطَّفْ ﴾ أي: فليمشِ بلُطف، وليُدقِّق النظر، وليُدقِّق الالتفات، وليترفق في شرائه ما يشتري[2]، ويدُلُّ على ذلك المعنى قوله: ﴿ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴾ أي: حتى لا يشعُرَ أحدٌ بكم، وليكُن كلامهُ

---

(١) انظر الطبري: تفسير الطبري (١٥/ ٢١٦).

(٢) انظر بنحوه الطبري: تفسير الطبري (١٥/ ٢٢٥)، والقرطبي: الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ٢٣٧)، وابن كثير: تفسير القرآن العظيم (٥/ ١٤٥).

لطيفًا رقيقًا، ولتكُن أفعالهُ خفيفة، وليتلمس الطرقات غير الموحلة بالناس الذين يتلبَّسونَ بالمعصية، والنهيُ هنا: تأكيدٌ لمعنى اللُطف عند دخول المدينة، اللطفُ في الفعل من أنواع الرفق، مطلوبٌ في حياةِ الناس أن يكونَ هُناك رِفقٌ في القول، وأن يكونَ هناك رِفقٌ في الفعل.

رِفقٌ في القول مثل: يُمكن أن تأتيني بكذا؟ لو فعلتَ كذا لكان أفضل.

افترضنا لو أنكَ أردتَ أن تأخُذَ شيئا من أحد، فلا تأخذه، ولكن أطلب منهُ أن تأخُذهُ برِفق، وبأدب! فالرِّفقُ أدب! وأدبٌ جمّ، وعائشة -رضي الله تعالى عنها وأرضاها- قالت: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ إِذَا أَرَادَ بِأَهْلِ بَيْتٍ خَيْرا، دَلَّهُمْ عَلَى بَابِ الرِّفْقِ»[1]، وقال لها أيضا: «مَهْلا يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ»[2]، وقال أيضا: «مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ، يُحْرَمِ الْخَيْرَ»[3] وقال: «إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»[4]

فثلاثة أرباع المشاكل الأسرية تنبُعُ من عدمِ وجودِ الرّفق، سواء في القول، أو في الفعل، فالرفقُ في القول: لين، والرفق في الفعل: لُطف.

---

(١) اسناده صحيح. أخرجه أحمد (٦/ ١٠٤-ح٢٤٧٣٤)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥٢٣).

(٢) متفق عليه. أخرجه البخاري (٦٢٥٦-الاستئذان)، ومسلم (٢١٦٥-السلام) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٩٢-البر والصلة).

(٤) أخرجه مسلم (٢٥٩٤-البر والصلة).

الرفقُ في القول: لين، فإن الله -تعالى- أرسلَ موسى وهارون إلى فرعون والملأ من قومه فقال ربنا ﷻ لنبيهِ: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ [طه:٤٤]، قولا لينا، إذا الرجُل يتكلم مع زوجتهِ بالكلام اللين، وهي كذلك، وأنت تُكلِّمُ أخاك بالكلام اللين، وهو كذلك، وأنت مع جارِك، وأنت مع زميلك، وأنت مع كل الناس كلِّمهُم بالكلام اللين.

لأن هذا الكلامَ اللين يُؤثِّرُ في القلب؛ ويفتحُ مِغاليقَ القلب، فتستقيمُ العلاقات الإنسانية، ببركةِ هذا الأُنس، وببركةِ هذا الأدب الجليل، وهذا كان هدي الصحابة مع رسول الله ﷺ ، بل هديهُم مع بعضهم البعض مثل قول عمر - رضي الله عنه -: يا رسول الله؛ إنك إن فعلتَ قلَّ الظهر، ولكن... [1]، وأيضا قوله لأبي بكر – رضي الله عنهما - كيف تُقاتِلُ الناس؟ وقد قال رسول الله ﷺ...[2]

فالكلام يخرُجُ في صورة الاستفهام، أو في صورة الاشتراط؛ هذهِ مسألة جيِّدة، وطيِّبة؛ لو وجد هذا في جميعِ أحوالنا لكان من وراءهِ الخيرُ الكثير.

الرفق في الفعل: لطف، فهذا بابٌ واسِع فإن الإنسان إذا كان رقراقا في قولهِ وفعله: كان رقيقا وكان رفيقا، ويحلو لي أن أُذكِّرَ بقصةِ هذا الغُلام، ابن

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٨٤-الشركة)، ومسلم (٢٧-الإيمان).

(٢) متفق عليه. أخرجه البخاري (٦٩٢٤-استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم)، ومسلم (٢٠-الإيمان)، من حديث أبي هريرة –رضي الله عنه-.

يحيى البرمكي، عندما دخلَ أميرُ المؤمنين عليهِ في قصرِ أبيه، فقال: يا غُلام: أيُّ القصرينِ أحبُّ إليك؟ قصرُ أميرِ المؤمنين؟ أم قصرُ أبيك؟ فقال: قصرُ أبي، إن كان فيهِ أميرُ المؤمنين! فانظُر إلى هذا القول الجيد، وانظُر إلى هذا الرفق، وانظُر إلى حُسن التَّخلُّص، وانظُر إلى الذَّكاء!

العلاقات الإنسانية تحتاج إلى قدر واسع من هذا الذكاء الأخلاقي، ومن هذهِ العلاقة الطيِّبة، كيف يُمكن أن تصوغَ قضيَّتك بطريقةٍ صحيحة؟ لا تُنفِّر أحدا، بل لتكن سببا في الهداية والخير، هذا هو المقصود.

أما الفعل: أن تكونَ رفيقا في كل أفعالك، في حركاتك، في إِشاراتك، في تصرُّفاتك، في قيادتك للسيارة، في إجرائك للتصرفات المادِّية والاعتيادية، أن تكونَ رفيقا، فالرفقُ في الفعلِ يُساوي: الاتئاد، يُساوي الرزانة، وهذا كُلُّه مطلوب.

فهذا الغُلام، هذا الفتى الذي سيدخُل المدينة أرواحُنا مُعلَّقةٌ في كفِّهِ، ونحنُ في مسئوليَّته، فعليهِ أن يتلطَّفَ عند دخولِ المدينة؛ حتى لا يشعُرَ أحدٌ به، فيكون ذلك سببا في الوصول إلينا.

هذهِ جُملة من الآداب، وجُملة من الأحكام، وجُملة من السلوكيات، طبَّقها أهلُ الكهف، ولو أننا طبّقناها لكان في ذلك الخير والبركة والنماء.

نحنُ نعيشُ في مِصر وقلوبنا وعقولنا وأفئِدتُنا مع إخواننا المسلمين في

كل مكان، لا أقول معهم في ليبيا أو في تونس، أو في فلسطين، وإنما أقول: في كُلِّ مكان! والذي أُريدُ أن أقِفَ عليهِ في إلماحةٍ يسيرة: هذا التحالُف الصليبي الرافضي، من أجلِ القضاء على الطائفة المُؤمنة السُّنية، لا أعني بذلك المُلتحي، أو الذي يلبس القميص فيُقصِّره، نعم هذا من السُّنة، ولكن أهل السنة: الذين يلتزِمونَ بأحاديث النبي ﷺ، والذين يُحِبونَ الصحابة – رضوان الله عليهم –، والذين يُفكرونَ في المستقبل الذي يكونُ أفضلَ لأولادهم، ولكنهُ مُستقبلٌ يحكُمُ الشرعُ فيهِ رقاب العباد والبلاد وهم راضونَ مُحِبُّونَ ذلك، إن ما حدثَ لإخواننا في أوروبا حيثُ ذُبِحَ قريبا من نصف مليون مُسلم في البوسنة والهرسك وكوسوفا على يدِ الصرب والكروات الصليبين[1]؛ بمُباركة المُجتمع الدولي آنذاك!! لم يُقتلوا على أنهُم مُتسنِّنون! يُطلقونَ لِحاهُم، ويُقصِّرونَ ثيابهم؛ وإنما قُتِلوا على أنهم: أهلُ سُنّة مُسلمونَ سُنِّيون، فالمسلم السني: هو الذي يُحِبُّ النبي ﷺ، ويُحِبُّ الصحابة، وما يسمعهُ من الدينِ: يُطبِّقهُ على حسبِ قدرتهِ وطاقته، ولا يُكلفُ الله نفسا إلا وُسعها، فيُمكنُ أن يكونَ المُسلمُ سُنِّيا وقد أعفى لحيتهُ أو حلقها، ولكن فارِقٌ بين المُقصِّرِ وغيرِ المقصِّر، السُّنيونَ سواء كانوا مُقصِرين أو غير مُقصرين كلُّهم مُستهدفون، قال الله ﷻ: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة:١٢٠]، هذهِ هي القضيَّة، أن هؤلاء اليهود والنصارى لن يرضوا عن أهل السنة حتى يكونوا يهودا أو نصارى.

---

(١) انظر: ويكيبيديا الموسوعة الحرة.

وما شأنُ الرافضة؟ الرافضة هم بريدُ الكُفر، هم الجواسيس التي تنخُرُ بلاد أهل السُّنة لكي يدخُلَ بعدهُم الكُفّار؛ ليذبحوا المسلمين بأسلحةٍ باردة، هذا مُجربّ، في القديم دخلوا بغداد، فلما دخلوا بغداد أرشدوا الكُفار على عورات المسلمين، فدخل التتر بغداد، فقتلوا فيها أكثر من مليون مُسلم ، (وانساحوا) من بغداد إلى ما حولها: حلب، والموصل وغيرها، فذبَّحوا مئات الآلاف من المسلمين؛ بسببِ هؤلاءِ الرافضة الأشقياء؛ لذلك – في مصر – عندما أَسَر الرافضة العبيدون ـ المسمون زورًا في كتب التاريخ بـ (الفاطميين) – العالم المتسنن أبا بكر بن النابلسي ، قالوا لهُ:

-أأنتَ الذي قُلتَ: لو أنَّ لي سهمين لرميتُ بأحدهما الروم، وبالثاني الرافضة؟ قال: لا، بل أقول: لو كان لي سهمان؛ لرميتُكما بهما سويا، فأمروا بذبحهِ، وقبل أن يُذبح أمروا بسلخهِ، فسلخوهُ من قبل رِجليه -قتل الله هؤلاء الرافضة- [1]

وفي العصر الحديث: في لبنان: حاصروا المسلمين السُّنة؛ وأرشدوا اليهود والنصارى على المسلمين السُّنة؛ حتى وقعت مجازر لِبنان في صبرا وشاتيلا، وبُرج البراجنة، والمية مية، حدث ذلك في لبنان عام ١٩٨٢م[2].

---

(١) انظر بنحوها: ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ): البداية والنهاية (١١/ ٢٩٥)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (د.ت).

(٢) راجع: موقع مؤسسة إبداع للأبحاث والدراسات والتدريب-٢٠١٢م، وموقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة.

وأيضا فعلوا في العراق عندما دلُّوا الأمريكان على أماكن السُّنة في العراق، ودخل الأمريكان بدبّاباتهم، وذبحوا عشرات الآلاف من المسلمين السنة في العراق؛ وهذا منذُ سنين قلائل؛ ولا يزال الذبحُ في أهلِ السنة بالعراق قائما إلى الآن!!

والشيءُ نفسه فعلوه أيضا في أفغانستان، قبل العِراق بقليل؛ عندما دخلتْ قوات حزب الوحدة الشيعي الرافضي إلى أفغانستان من شمال أفغانستان، وكانوا سببا بعد ذلك في دخول القوات الصليبية.

والآن: عن طريق تدمُر-مُحافظة تدمُر في شرقِ سوريا-يتِم التنسيق بين الرافضة في العراق، والرافضة في لبنان، الذي يفصِل بين العِراق ولبنان تدمُر، وهي صحراء واسعة جرداء، وفيها المخزون الاستراتيجي للجيش السوري المُجرم، يتمُّ هناك التنسيق بين رافضة العراق ورافضة لبنان؛ لدعم الكُفار في سوريا، تقول: هم كُفار؟ نعم هُم كُفار، إن بشار لا يقول: لا إله إلا الله مُحمد رسول الله، ولا يُصلي صلاة المسلمين، ولا يعتقِدُ في القرآن، واعتقاداته في الغيبيات تُشبهُ اعتقادات الفراعنة، سواء بسواء، اعتقادات وثنيَّة وشركيَّة، ويهوديَّة ونصرانيَّة لا تمتُّ إلى الإسلام بصِلة.

أما المُجتمع الدولي الذي كان مُنذُ قريب يُندِّد بالنظام، ويقول: إن أيامهُ معدودة، ولابُدّ لهُ أن يرحل، تغيَّرَ الأمرُ فجأة، ما الذي يحدُث؟! يدعونَ الآن إلى حلِّ القضيَّة سِلميا، عن طريق اللجان الرُّباعية والخُماسية، وللأسف صارت

الدول العربية ضالعة في هذا الموضوع؛ لأنَّها تخافُ من أمريكا، فهي لا تُريدُ أن تكونَ هناك شريعة تحكُمُ سوريا، وهذا الكلام ذكرتُهُ مُنذُ قديم، لا يُمكن أبدا أن تُقامَ دولةٌ للإسلام في سوريا؛ لأن الذي يتحكَّم في كُرسي دِمشق دولتان: إسرائيل وإيران، إسرائيل ومن ورائها أمريكا، وتُركيا، وأوروبا، واليابان، كل هذهِ الدول تسيرُ خلفَ إسرائيل، أما إيران، فإنها تملِكُ الكثير في المنطقة، تملُك الخلايا النائمة في دُولِ الخليج، وشمال إفريقيا بل وغيرها من بلاد إفريقيا ، كما أن لها ثِقلاً في العراق، وفي لبنان، وفي الداخل السوري، وبالتالي هي دولة محوريَّة.

فما يحدُث في سوريا الآن مُؤامرة رافضيَّة صليبيَّة؛ للقضاء على إخواننا في سوريا، وما المطلوب منا؟! ليس المُطلوب أن نُرسِلَ إخواننا من القوة البشريَّة في بلادنا إلى هناك، ولكن المطلوب: أن نجدَ في إمداد غير القادرين بالمال، وأن نجتهِدَ في مُساعدتهم في مجال الطب، ومن استطاع أن يُساعدهم في مجال الدعوة والتعليم فلا بأس ، لا حرج أن نُفسِحَ لهم في ديارنا، ولكن بعد التدقيق؛ لأن هناك كثيرا من السوريين الذين أتوا إلى ديارنا ليسوا من أهلِ السُّنة، فلابُدَّ أن نُدقِّقَ فيمن نُساعد؛ حتى لا نُضلَّل، وحتى لا تذهبَ جُهودُنا سُدى، لابُدّ أن تسأل عن عقيدته، وأن تستفسر عن أحواله؛ لأن الذي أتى هنا إلى مِصر معهُ المال، أما المحرومون حقيقة فهم الذين يعيشونَ في المخيمات هناك على الحدود مع لبنان والأردن وتُركيا، هؤلاء هم المحرومون حقا، الذين يحتاجونَ

إلى الدعم، لكن الذي يأتي إلى مِصر: لابُدَّ لك:

١-أن تتأكدَ من عقيدتهِ.

٢-أن تتأكدَ من حاجته.

وإن كان شابا: فادعهُ أن يذهبَ إلى بلدهِ فليُجاهد، ونحنُ نُساعِدهُ ونُموِّله.

فيا إخواني: لابُدَّ أن تُفكِّروا في أحوال المسلمين؛ ولابُدّ أن تعلموا: أننا إذا عِشنا جزيرة مُنفصِلة عن إخواننا في كل مكان، يكونُ ذلك بداية للانهزام الداخلي، والقهر الذاتي، وعندئذ يكون الفشل.

هؤلاء الفتية الذين آمنوا بربهم، فزادهم الله -تعالى- هُدى، صمدوا أمـــام أقـــوامهم، فأنكـــروا عليهم شِركهم، فتوعَّدوهم، فهربوا فِرارًا إلى الله ﷻ، فألقى الله -تعالى- في قلوبهم: أن يلجئوا إلى ذلك الكهف، فلجئوا إليه فارِّين، وكافأهم الله -تعالى- بأن ألقى في قلوبهم الثبات، وجعلهم آيةً على مرِّ الدهور، فعندما مكثوا في الكهفِ ما مكثوا، أمرَ الله -تعالى- ببعثهم فقاموا فتنازعوا فيما بينهم في المدّةِ التي قضوها في ذلك الكهف، نظرَ بعضُهم إلى بعض، فلم يجِدوا شيئا من أبدانهم قد انتُقِصْ، ولا شيئًا من أحوالهم قد تغيَّرتْ؛ لهذا قالوا: ﴿لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ ثم حسموا ذلك النِّزاع، بأن يذهبَ أحدُهُم إلى المدينة؛ ليشتريَ لهُم شيئًا، ولكن ليَحذر على نفسهِ من أهلِ المدينة، فلا يُشعِر أحدًا بهِم، ولا يُظهِر أحدًا على حالِهم، ثم بيَّنَ ربُّنا لأ سببَ

ذلك الحِرص، وذلك الخوف من أقوامهم ﴿ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ ﴾ أي: إن يعرِفوا بحالِكم، كلمة «الظُّهور» فيها: معنى الغلبة، فظهرَ فُلانٌ على فُلان، إذا انتصَرَ عليهِ وغلبهُ، وأصلُ كلمة الظُّهور من كلمة الظَّهر، ذلك أنَّ المُنتصِرين قديمًا كانوا يركبونَ ظهورَ دوابِّهم، فيدخلونَ هذهِ البلاد على ظهور الدواب بينما المهزومون يسيرونَ على الأقدام، ويرسفونَ في القيود، فصار المُنتصِرُ هو راكِبُ الظهر، وصار المهزومُ: هو الماشي راجِلاً، فدلت كلمة «الظهور» على معنى : الانتصار والغلبة[1]؛ ثم قدَّمَ الآية بقولهِ سُبحانه: ﴿ إِنَّهُمْ ﴾ للتأكيد، فمع أنَّهُم فتيةٌ صِغار إلا أنَّهُم يعرِفونَ طبيعة الصراع بين الحق والباطل، فالباطِلُ لا يرضى من الحقِّ إلا أن يخذُلَهُ ويكسره، قال الله ﷻ: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾[البقرة:١٢٠] هذهِ سُنَّةٌ كونية، فنحنُ ـ أيضًا ـ لا نرضى من الكافر، أن يترُكَ شيئًا من الكُفرِ ليكونَ معنا، بل نريده أن يصطبغ بالإسلام ، وهذا هو الإسلام ؛ فلا مفرق لطرق ، ولا تقابل مع الباطل ...

النبي ﷺ عندما أتاهُ وفدُ الطائفِ أو ثقيف -كانوا وثنيين مُشركين- مُسلمًا يُبايعهُ على الإسلام وأرادوا الدخول في الإسلام، ليشهدوا شهادة الحق، ويُؤدوا الصلاة، وكذلك يصوموا الشهر، ويحُجّوا البيت، ولكنهُم طلبوا ألا تُحَرَّمَ عليهم الخمر، فتحريمُ الخمرِ من جُملةِ شرائعِ الإسلام، ولكن النبي ﷺ

(١) انظر في ذلك ابن منظور: لسان العرب (٤/ ٢٧٦٨).

أبى إلا أن يدخلوا في شرائعِ الإسلام كافَّة، ولم يُبايعهم النبي ﷺ على تركِ تحريم الخمر[1]؛ وكان من بركة ذلك أن تحريم الخمر كما هو في الشرع – لا زال ثابتًا إلى يومنا هذا، ولو أن النبي ﷺ أجازَ لهُمُ الخمرَ، وأباحَ لهُم الخمرَ ليدخلوا في بقيةِ الإسلام، لعلَّ الناسَ قد خاضوا في ذلك الأمر بعد ذلك؛ لضاعت هذه الشريعة، ولركب الناس مركب الحرام؛ ليحلوا الخمر وغيرها !!

والحِكمةُ نفسُها جرى عليها أبو بكر رضي الله عنه، فالذين منعوا الزكاة، لم يخرُجوا من دينِ الله عز وجل، إنهم مُوحِّدونَ يُقيمونَ الصلاة، ويصومون الشهر، ويحُجُّونَ البيت، ولكنهم تركوا الزكاةَ ليس جُحودًا، وإنما تأوُّلا، وقال قائلهم: إنا كنا نُعطي الزكاة للنبي ﷺ، فيدعو لنا ويُصلي علينا، وأما اليوم فلن نُعطيها لابن أبي قُحافة، الصحابة رضي الله عنهم جميعًا كان من رأيِهم ألا يُقاتِلَ أبو بكر هؤلاء القوم، وأن يستعينَ بهِم على قِتال الذين ارتدوا عن أصل الدين؛ كالذين ادعو النبوة مثلًا، لكن أبا بكر رضي الله عنه قال: «وَاللهِ لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ المَالِ، وَاللهِ لَوْ مَنَعُونِي عِقَالًا كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهِ»[2].

إذن أهل الحق لا يرضونَ أبدًا من أهل الباطل إلا أن يتركوا باطِلهم

---

(١) انظر: البيهقي، أحمد بن الحسين (ت٤٥٨هـ): دلائل النبوة (٥/ ٣٠١)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١-١٤٠٥هـ=١٩٨٥م.

(٢) متفق عليه. أخرجه البخاري (٧٢٨٤-الاعتصام بالكتاب والسنة)، ومسلم (٢٠-الإيمان) من حديث أبي هريرة –رضي الله عنه–.

ليدخلوا في حقِّنا، وكذلك أهل الباطل لا يرضونَ أبدًا أن يترُكَ أهل الحق شيئًا من حقهم ليُوافقوهم، ولو حدث لكانت هذهِ مرحلة تتلوها مرحلة ثانية وثالثة ورابعة، إلى أن نجِدَ سُلَّما من التنازُلات، وسُلمًا من التدحرُجات، ربما تُفضي إلى تركِ دين الله ﷻ؛ لذلك قال هؤلاء الفتية الصِّغار: ﴿ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ ﴾[الكهف:٢٠] يرجموكم، يشتموكم بالقول، ويؤذوكم، و»في ملتهم» يُعيدوكم إلى دينهم[1]، ولو حدثَ ذلك لن ﴿ تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴾ لم يقُل: لا تُفلحوا، ولكنهُ قال: لنْ تُفلحوا إذًا أبدًا، فالنفيُ المُؤبد للفلاحِ عند مُوافقة القوم، فالكُفَّار والمُنافِقون: لا يرضونَ أبدًا إلا أن تكونَ على دربهم، وعلى ملَّتِهم، وعلى منهجهم، حتى تُشاكلهم، وحتى تُشابههم، فإن لم تفعل همزوك ولمزوك وحاربوك وأثبتوك -أي حبسوك-وأخرجوك من الديار، وربما تمالئوا على قتلك، ولو تأمَّلتَ الأقوامَ مع أنبيائهم لوجدتَ أن هذا جميعًا قد حصل قال تعالى : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾[الأنفال:٣٠]، ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ﴾ [إبراهيم:١٣]، هذا هو الأساس، فإن لم تتبع ملة الكُفر وتدخُل تحت راية الكُفر فهناك المُنتظر من الهمز واللمز، يُتهم بأنهُ ساحر، بأنهُ شاعر، بأنهُ مجنون، يتمالأ عليهِ القوم ويجتمعون لدراسة حالِه، منهم من يقول: نسجنه-نثبته-ومنهم من يقول:

(١) انظر الطبري: تفسير الطبري (١٥/ ٢٢٤).

نطردُهُ، نُخرِجهُ، ومنهم من يقول: نقتلهُ.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: « ما يصنع أعدائي بي؟ أنا جنتي وبستاني في صدري، إن رحت فهي معي لا تفارقني، إن حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة» [1].

ويقول أيضا: مِنْ أَيِّ شَيْءٍ أَخَافُ! إنْ قُتِلْت كُنْت مِنْ أَفْضَلِ الشُّهَدَاءِ، وَكَانَ ذَلِكَ سَعَادَةً فِي حَقِّي: يُتَرَضَّى بِهَا عَلَيَّ إلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَيُلْعَنُ السَّاعِي فِي ذَلِكَ إلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، فَإِنَّ جَمْعَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْلَمُونَ أَنِّي أُقْتَلُ عَلَى الْحَقِّ الَّذِي بَعَثَ اللهُ بِهِ رَسُولَهُ. وَإِنْ حُبِسْت – فَوَاَللَّهِ – إنَّ حَبْسِي لِمَنْ أَعْظَمِ نِعَمِ اللهِ عَلَيَّ وَلَيْسَ لِي مَا أَخَافُ النَّاسَ عَلَيْهِ: لَا مَدْرَسَةَ وَلَا إقْطَاعَا وَلَا مَالا وَلَا رِئَاسَةً وَلَا شَيْئًا مِنْ الْأَشْيَاءِ» [2].

فالمُخالِفونَ للحق لا يرضون من أهل الحق إلا المُوافقة، ولو رأيتَ شيئًا دون الموافقة، فاعلم أن هذهِ درجة، أو أن هذهِ دركة ستتلوها دركات ودركات، حتى يصِلَ الأمرُ إلى مُستركٍ حقير؛ لذلك قالوا: ﴿ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ ﴾ قال الزجاج –رحمه الله–: يرموكم بالحجارة، وهو أخبث القتل[3]، يقتلُوكم رجمًا، ولم يقُل: يقتلوكم، ولكن قال: يرجُموكُم؛ لأن المرجومَ

(١) انظر: ابن القيم، محمد بن أبي بكر (ت٧٥١هـ): الوابل الصيب (١٠٩)، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ط٣-١٤٣٣هـ.

(٢) انظر ابن تيمية: مجموع الفتاوى (٣/ ٢١٦،٢٥٩).

(٣) انظر القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ٢٣٧).

لا يموتُ من أول ضربة، وإنما يشعُرُ بحسِّ العذاب وألمِهِ، فربما يزعق ويقول: تُبتُ إليكُم، ورجعتُ إلى ملَّتِكُم، وعندئذ يُخرِجوهُ فلا يقتلُوه، فالرجمُ هو المناسِبُ في ذلك المقام.

وهنا أيضًا نكتة لطيفة في قوله تعالى: ﴿يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ﴾ الفعلُ «عاد» صِلتهُ «إلى» ولكنهُ قال: «في»؛ للدلالةِ على التمكُّن، لم يقُل: يُعيدوكم إلى ملَّتِهم، مع أن الفعل عاد يوصلُ بالأداة «إلى» وهذا في غالِبِ الأحوال، ولكنهُ قال: يُعيدُوكم في: للدلالة على أنهم لن يرضوا أبدًا إلا أن تتمكنوا من دينهم، حتى تكونوا مِثلهُم، وإن كان فإنكُم إذًا مِثلُهم!! نسأل الله تعالى العافية.

هؤلاءِ القوم، قال أهلُ التفسير: أنَّهُم كانوا يُنكِرونَ البعثَ بعد الموت[1]، إنما هي حياتنا نعيشُ فيها، فإذا مِتنا كانت هذهِ نهايتُنا ، هذا الفِكرُ موجودٌ إلى الآن، لا تظنُّوا أن هذا الفكرَ لُفَّ وطُرِحَ في مزابل الزمن، أبدًا، ولكن لا تزالُ زاعقة من الناس يتبنونَ هذا الفِكر، فلو تأمَّلت حال الفلاسفة الماديين مثل: جان بول سارتر[2] وزوجهُ وأصحابه، هذهِ المدرسة الوجودية، لوجدتهُم

(١) انظر القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ٢٤١).

(٢) جان پول شارل إيمارد سارتر « في ٢١ يونيو ١٩٠٥م من أسرة بروتستانتية في باريس، وكان والده ضابطًا بالبحرية الفرنسية وأمه ابنة لمدرس لغات يُدعى « شارل شويتزر»، وعندما كان « جان بول « في الثانية من عمره مات والده وهو في الصين، وتزوجت أمه برجل آخر، وتركته لدى أبيها، فأفتقد حب الأب والأم معًا، وشعر أنه غير مرغوب فيه، ولاسيما أن جده شارل كان ينفر ويسخر منه، وكان « جان =

يعتنقونَ هذا الفِكر، أن الحياة رِحلة، فلابُدَّ أن نتمتعَ بماديات الدنيا في هذهِ الحياة، فليس عندهُم حرام، وليس عندهم ضابِط؛ لذا فهم يُحلِّونَ كلَّ شيء، ولا يُحرِّمونَ أي شيء، وبالتالي ليس عدوُّهم الألدّ هو الشيطان، وليس هو الهوى، وإنما عدوُّهم الألد أمران:

الأول: الدين.

الثاني: التقاليد الاجتماعية.

ولذلك لابُدّ من مُحاربة الدين، وتفسيخ المُجتمع، هذهِ هي النظرة المادية الوجودية الإلحاديَّة، التي تسرَّبَ شيءٌ منها إلى مُجتمعاتنا، ونحنُ صِغار كان من يوصف بأنه فتى فاسد، أو شاب فاسد قليلاً، وكان كثيرًا ما يُعْنى به : أنه يشربُ السيجارة!! سُبحان الله! أما الآن: فإن الفساد: ينتشِرُ انتشارًا وبيئًا، وربما لا تجِدُ من الصالحينَ إلا القليل!

مدرسة بأكملِها بها ألف طالب، إذا أردتَ أن تختارَ منهم صالِحًا: عزَّ أن

=بـــول « يتظاهر بالطاعة لجده بينما هو يبغضه، ونتيجة هذه الطفولة التعســة قال « سارتر»: «لم أكن أحب شيئًا ولا أحدًا « كما قال « لقد فهم القارئ إنني أكره طفولتي وكل ما يتعلق بها « والأمر العجيب أن « ســارتر « هنأ نفسه بموت أبيه الذي جعله حرًا فقال « لو كان أبي حيًا لكان تمدَّد عليَّ بملء قامته وســحقني، ولحســن حظي مـــات أبي عندما كنت صغيرًا. إن موت جان باتسيت (والده) كان الحدث الأهم في حياتي، لقد أعاد إليَّ حريتي»، انظر: رأفت شوقي: الإلحاد.. نشأته وتطوُّره (١/ ١٦٩) موقع الأنبا تكلاهيمانوت.

تجِدَ صالِحًا!! جامعة بها ثمانون ألف طالب وطالبة، إذا نخلتَهُم ربما لا تجِدُ إلا القليل، أما بقية الشباب، فلا يعرِفونَ حلالًا ولا حرامًا!! سُبحان المِلك!! تجِد المُصادقات غير البريئة؛ لأن المُصادقة البريئة: هي ما أحلها الله ﷻ، وما كانت لله وفي الله، وهو الإخاءُ في سبيل الله، أما هذا الإخاء وهذهِ الصداقات، فإنها في سبيل الشيطان، تضييعٌ للأوقات، وإهدارٌ للأموال، واتباعٌ للأهواء، ونبذٌ للدين، وارتكاب ما حرَّمَ الله؛ لذلك نجِد المُنكرات الكثيرة التي فسَّختْ هذا المُجتمع، ومن صورة التفسُّخ الاجتماعي أن الإنسانَ لا يكونُ ولاؤه لدينه، ولا لأُسرته، وإنما ولاؤهُ لأهل الهوى، تجِد الشاب لا يُؤثِّرُ عليهِ أبوه، ولا أمهُ، ولا خاله ولا عمه، وإنما يُؤثِّرُ عليه صاحِبهُ في السوء، هذا أثر من أثار الحضارة الأوروبية المادية العفِنة التي لم نستفِد منها إلا هذا الجانب الأخلاقي المُزري!!!

في زمن فتية الكهف، كان هذا الفِكرُ موجودًا مع عبادةِ الأصنام، إذن صورة المجتمع: شِـــركٌ، ومنهجٌ أخـــلاقيٌ فاســـدٌ يضـــرِبُ جنبات هذا المُجتمع، فكان من حِكمةِ الله ﷻ أن أعثرَ الناسَ على أهلِ الكهفِ ليُثبِتَ لهُم أن هناك بعثًا بعد الموت؛ لذا قال الله ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ فِيهَآ﴾[الكهف:٢١].

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي: كما أرقدناهم، وكما ضربنا عليهم الموت السنين المُتطاولة: بعثناهم، فالأمرُ كلهُ لله ﷻ، هو الذي أمر بأن يناموا، وهو الذي أمرَ

أن يقوموا ﴿ وَكَذَٰلِكَ ﴾ كما أنمناهم أيقظناهم[1].

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ ﴾ أي: أقدرَ ربنا ﷻ الناسَ ليجِدوهم، فالفعلُ منسوبٌ إلى الله، مُستندٌ إليهِ سُبحانه، فلا يحدُثُ فعلٌ في هذا الكون إلا بأمرِ الله، إذن لا يتحركُ ساكن، ولا يسكُنُ مُتحرِّك إلا بأمر الله ﷻ، فلا يظُنَّن الوهم بأحدٍ ليقول: إني أفعلُ ما أشاء! أبدًا، وإنما تفعلُ ما تشاء بمشيئةِ الله ﷻ ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾.

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ﴾ وعدَ الله بالموت والبعث، وكذلك ليعلموا أن ﴿ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ ﴾ أي: إهلاكُ الناس وبعثهم وحشرهم وسؤالهم وغيرُ ذلك؛ ليعلموا أن ذلك جميعا حق[2].

﴿ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ ﴾ إذ: فيها معنى الزمن، يعني أذكر وتأمَّل ذلك الوقت الذي تنازعوا فيه، هناك بعض روايات: أنهم انطلقوا مع ذلك الفتى إلى الكهف، فلما دخلَ لم يخرُج، فنظروا إلى الكهف، فرأوا هولًا، وألقي في قلوبهم الخوف والمهابة، فردُّوا أبصارهم سريعا، ولم يتمعنوا فيما هو في داخل الكهف؛ لذلك تنازعوا العدد فيما بينهم؛ لأنهم لو نظروا بتدقيق في الكهف

---

(١) انظر نحو ذلك الطبري: تفسير الطبري (١٥/ ٢٢٥)، والقرطبي: الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ٢٤٠).

(٢) انظر الطبري: تفسير الطبري (١٥/ ٢٢٥)، وابن كثير تفسير القرآن العظيم (٥/ ١٤٦).

لعلِموا العدد، ولكنهم عندما نظروا خافوا، وبالتالي لم يعرفوا ماهيَّة العدد، فوقعَ النِّزاعُ فيما بينهم، فاذكُر ذلك الوقت الذي تنازعوا فيه، في عددِ أصحاب الكهف، فذكر ربُّنا ﷻ ثلاثة أقوال، همزَ اثنينِ، ورمى الاثنين بقولهِ: ﴿ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ﴾ أما الثالث فلم يرمهِ ربنا، فلعلَّ ذلك هو الأصوب، فاسمع إلى قول الله ﷻ: ﴿ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ﴾ أي: سُدوا ذلك الكهف عليهم بالبنيان[1] ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ ﴾ وهم أهلُ السلطة والسيادة والزعامة والملك ﴿ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴾ وهذا أسوأ القولينِ، فالقول الأول: ﴿ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ﴾ لعلَّ ذلك أهلُ الصلاحِ والإسلام، وأهلُ العقل والرشاد، حتى لا يتخذهُم الناسُ أندادًا تُعبدُ من دونِ الله ﷻ، وهذا الصنيعُ هو الحقُّ في مثل هذهِ المواقف، فإن عُمرَ بن الخطاب ﷺ في فتحِ العراق، عندما وجد الصحابة جُثةَ نبي الله دانيال، ونقلوهُ إلى المدينة، فلما كان الليل: أمر عُمر ﷺ بأخاديد فخُدَّت، ثم وضعهُ في أحد هذهِ الأخاديد، ثم ردمها جميعًا؛ حتى لا يُهتدى إليه[2]، وأيضًا: عندما رأى عمر بن الخطاب ﷺ الناسَ تستظِلُّ بالشجرة التي بايع النبي ﷺ تحتها الصحابة بيعةَ الرِّضوان، يستظِلُّونَ بظِلها، وربما التمسوا البركةَ منها، خاف عُمر ﷺ أن يتّخِذها الناسُ من دونِ الله -تعالى- وثنًا، فأمرَ بقطعها.[3]

---

(١) انظر ابن كثير: تفسير القرآن العظيم (٥/ ١٤٧).

(٢) انظر ابن كثير: تفسير القرآن العظيم (٥/ ١٤٧).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٢/ ٣٧٤-ح٧٦١٩). مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط٢-١٤٢٧هـ=٢٠٠٦م، وابن سعد، محمد بن سعد بن

وهذا هو المطلوب: أن نُحافظَ على جنابِ التوحيد، ورونق الديانة، فلا نجعل صافي الديانة كدرًا، ولا مُستقيم الديانةِ مُعوجًا، بل لابُدَّ أن نُحافِظَ على دين الله ﷻ، وهذا ما قالهُ أهل الاستقامةِ والعقل المسلمون كما قال ابن جرير -رحمه الله[1]، فقالوا: ﴿ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَـٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾ لا ينبغي أن نخوضَ في شأنهم: هل هم أولياء لله أو غير ذلك؟! الله أعلمُ بهم.

أما أهل السيادة والمُلك والترف وربما هم أهلُ الكُفر! المتغلِّبونَ عليهم قالوا: سنبني عليهم مسجِدًا!! وهذا منهيٌّ عنه[2]! ففي الصحيح أن النبي ﷺ قال: «لَعْنَةُ اللهِ عَلَى اليَهُودِ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ» يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا[3]

يُحَذِّرُهم هذا الصنيع! وذُكِر للنبي ﷺ كنيسة بالحبشة بها من التصاوير والتماثيل؛ وكان النبي ﷺ في سياقة الموت؛ فكشفَ عن وجههِ وقال:«إِنَّ أُولَئِكَ إِذَا كَانَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فَمَاتَ، بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا

منيع (ت٢٣٠هـ): الطبقات الكبرى (٢/ ٩٦)، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط١-١٤٢١هـ=٢٠٠١م.

(١) انظر ابن كثير: تفسير القرآن العظيم (٥/ ١٤٧).

(٢) انظر القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ٢٤١: ٢٤٥) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم (٥/ ١٤٧).

(٣) متفق عليه. أخرجه البخاري (٤٣٥-الصلاة)، ومسلم (٥٣١-المساجد ومواضع الصلاة) من حديث عائشة، وعبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-.

فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ، فَأُولَئِكَ شِرَارُ الخَلْقِ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ»[1].

سُبحان الله! فالنبي ﷺ نهى عن ذلك الأمر؛ لذا قال عُلماءُ الإسلام: «فَلَا يَجْتَمِعُ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ مَسْجِدٌ وَقَبْرٌ»[2]؛ لذلك ما يقولهُ الرافضة الأشرار المُجرمونَ الفُجّار! أنهم: إنما دخلوا إلى سوريا من أجلِ حماية المزارات المُقدَّسة: هذا كُفرٌ وشِرك، فالمزارات التي يزعمونَ حمايتها في سوريا هي: قبر السيدة زينب! وسُبحان الله! قبر السيدة زينب في أكثر من دولة، عندنا في مصر، وهناك في العراق، وهناك في سوريا، فيا تُرى أيُّ الزيانِبِ هُم يحترمونها ويقومونَ بتقديسها؟! ثم ما هذهِ الكلمة: العتبات المُقدسة، ويأتي ناعِقٌ شيعي يقول: إننا لن نسمح بسقوط العتبات المُقدَّسة[3]!! وبالتالي: انطلق عشرات الآلاف من رافضة العراق ولبنان بل وإيران ليدخلوا سوريا؛ كي يحموا الأضرِحة، سُبحان الله! يحمون الأضرِحة مِن أهل السنة!! يا إلهي!!

النبي ﷺ يقول: « لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أولياِئهم وصالحيهم مساجد» ، وهؤلاء الملعونون يُجدِّدونَ ملة اليهود والنصارى،

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري (٤٢٧-الصلاة)، ومسلم (٥٢٨-المساجد ومواضع الصلاة) من حديث عائشة -رضي الله عنها-.

(٢) انظر: ابن القيم، محمد بن أبي بكر (٧٥١هـ): زاد المعاد في هدي خير العباد (٣/ ٥٠١)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٤-١٤٢٥هـ=٢٠٠٥م.

(٣) العربية، مقالا بعنوان: إما داعش وإما إيران..سورية والعراق يستحقان أفضل، للكاتب: عبد الوهاب بدرخان، بتاريخ٢٦/ ٦/ ٢٠١٤م.

فيتخذونَ مقابر المُتوهّمين عتبات مُقدَّسة يحُجُّونَ إليها، ويطوفونَ حولها، ويسألونها، بل لا يلجئون إليها، ولا يأتونها إلا زحفًا على بطونهم!!! والله لو رأيتُم هذهِ المناظر-آلاف الحشرات البشريَّة- تزحفُ على بطونها نحوَ هذِهِ القباب والقبور؛ لحكمتَ عليهم بالسفه والبهيميّة، لا يُمكن أن نجِد إنسانًا يزحفُ على بطنهِ إلى قبر مقبور لعشرات الأمتار زاحفا على بطنه!! سُبحان المِلك! يذهبونَ إلى سوريا لحماية العتبات المُقدَّسة! عتبة زينب بنت الحسين! سُبحان المِلك! هذا كذِبٌ وسفه! كذِبٌ وهُراءٌ شديد!!.

هم يتشبهون في ذلك باليهودِ والنصارى؛ وقال النبي ﷺ: « مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»[1]، فبنصِّ هذا الحديث، فإن هؤلاء القوم الرافضة: من اليهود والنصارى؛ لذلك أصل عقيدة الرَّفض عقيدة يهودية، أسسها عبد الله بن سبأ اليهودي، فالرفض في أساسهِ، والتشيُّع في أساسه فكرة يهودية، قالها عبد الله بن سبأ؛ لذلك كانت الشيعة في الزمن الأول يُطلقُ عليهم: السّبئِيَّة، فتحصل أن أصل الفكر الرافضي الشيعي: اليهودية! وبالتالي أفعالهُم تُشبهُ أفعال اليهود -والعياذُ بالله-

﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴾ ثم انظُر إلى نِزاعهم بعد ذلك على ثلاثة أقوال – كما ذكرت - قولانِ ساقِطان، وقولٌ

(١) إسناده صحيح. أخرجه أبو داود (٤٠٣١-اللباس)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦١٤٩).

سكتَ عنهُ ربُّنا، وهذا القول الذي سكتَ عنهُ ربُّنا، لم يهمِزهُ: ربما هو الصحيح؛ لأنهُ لو كان فاسِدًا لأفسدهُ الله، فإن الله -تعالى- لا يقر فاسدا ؛ إذ إن الفساد كلَّهُ مذموم ، قال تعالى : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ [الأنبياء:١٨].

قال ربنا ﷻ: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ ﴾ هذان القولانِ: غير صحيحين، وهما رجمًا بالغيب، رماهما ربُّنا ﷻ بالفساد؛ لأنهُ جعلَ هذين القولين: رجمًا بالغيب، على غير اهتداء، وقذفا بالظن على غير يقين وعلم، كمن يقول بالوهم، ويقول بعدم العلم؛ لذلك نستفيدُ: أنك لا تتكلم إلا بعلم، فإذا سكتَّ لا تسكُتْ عن عِلم، وإذا تكلَّمتَ لا تتكلم إلا بعِلم. (١)

أما القول الثالث: ﴿ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ هذا هو القول؛ لذلك قال عبد الله بن عباس: كانوا سبعة وثامنهم كلبهم(٢). وكذلك هذا القول قالهُ عطاء، ورجحه غيرُ واحدٍ من السلف(٣) ؛ لأن الله -تعالى- ذكرَ هذا القولَ فلم يهمِزهُ.

بعد أن ذكر ربُّنا ﷻ هذا القول: ﴿ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ

(١) انظر بنحو هذا الطبري: تفسير الطبري (٥/ ٢٢٦)، وابن كثير: تفسير القرآن العظيم (٥/ ١٤٧).

(٢) انظر: ابن سعد الطبقات الكبرى (٢/ ٣١٦)، والطبري: تفسير الطبري (٥/ ٢٢٦)، والقرطبي: الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ٢٤٨).

(٣) انظر القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ٢٤٦).

﴿كَلْبُهُمْ﴾؛ لم يُعقِّب ربُنا على ذلك القول بالفساد، بل قال ربنا ﷻ: ﴿قُل رَّبِّيٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[الكهف:٢٢] قال عبد الله بن عبَّاس: أنا من هذا القليل: كانوا سبعة؛ وكذلك قال عطاء: أنا من هذا القليل[١]؛ ما يعلمُ عددهُم إلا قليل؛ فثبتَ من هذهِ الأقوال: أن القول الأرجح؛ ولعلّهُ الأصح: أنهُم كانوا سبعة!

ومع الخلاف في عدد أصحاب الكهف ، إلا أن الثابت أن الكلب لم يختلف فيه ، بل هو مذكور في كل عدد ، ذكره ربنا سبحانه في سياق الفقه أكثر من مرة، تنويها على فضله!! إن فضيلتة ؛ لأن الله سبحانه جعله في معية هؤلاء الفتية ! فما بالك لو كان أحدنا في معيتهم !! إن معية الصالحين ومجالستهم ومصاحبتهم كعنى عظيم يؤدي إلى كثير من الخير ودفع كثير من الشَّر ، وهذه مسألة يكثر الكلام فيها ...

قال ربُّنا ﷻ: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا﴾ فلا تُمار: أي لا تُجادِل أحدًا في عددهم[٢] ﴿إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا﴾ أي: حسنًا عاليا، وسهلا بينا[٣]؛ لأن الله تعالى بصّرك وعلَّمك، فإذا أردتَ أن تتكلم، فتكلم بما علَّمكَ الله ﷻ، وفي ذلك الوقت: ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾ أي: لا تستفتِ أهل الكتاب[٤]؛ عن هؤلاء ولا عن غيرِهم؛ لأن أهل الكتاب: إما أن :

---

(١) انظر ابن كثير: تفسير القرآن العظيم (٥/ ١٤٨).
(٢) انظر القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ٢٤٨).
(٣) انظر ابن كثير: تفسير القرآن العظيم (٥/ ١٤٨).
(٤) انظر: الفراء، يحيى بن زياد (ت٢٠٧هـ): معاني القرآن (٢/ ١٣٨)، دار الكتب=

-يُخبِروكَ بحقٍ أُثبِتَ في دينك.

-وأما أن يُخبروكَ بباطلٍ غير مثبوت في دينك.

-وإما أن يُخبِروكَ بشيءٍ توقَّفَ فيهِ دينُك.

فالأولى: أن تتبعَ دينك، فلا ﴿ تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴾.

كانت هذهِ القصة لها سبب ذكرهُ بعضُ أهل العلم: أن نفرًا من اليهود؛ أتى النبي ﷺ؛ ليسألهُ عن أمورٍ ثلاثة؛ هذهِ الأمور:

-عن أصحاب الكهف.

-عن ذلك الرجل الذي طوَّفَ الدنيا شرقًا وغربا.

-وعن الروح.

وقالوا للكفار: إن هو أجابها فهو نبي؛ وإن لم يُجبها فهو دونكم؛ افعلوا فيهِ ما تشاءون!!

النبي ﷺ لا يعلمُها؛ قال سأُخبِرُكم عنها غدًا! ولم يقُل: إن شاء الله. نُسِّيَ أن يقول: إن شاء الله؛ فعاتبهُ ربُّهُ مُعاتبةً عمليّة؛ فتأخَّرَ الوحيُ خمسةَ عشرَ يومًا، حتى أتاهُ جبريل بهذهِ السورة؛ بسورة أصحاب الكهف. (١)

=والوثائق القومية، القاهرة، مصر، ط٢-١٤٢٢هـ=٢٠٠٢م، والطبري: تفسير الطبري (١٥/ ٢٢٨).

(١) انظر الفراء: معاني القرآن (٢/ ١٣٨)، والطبري: تفسير الطبري (٥/ ٢٢٩)،=

قال ربنا ﷻ: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾[الكهف: ٢٣-٢٤] لا تقُل: إني فاعِلٌ شيئًا في المستقبل، المقصودُ بغد: هو المستقبل؛ عندما تقول : سأتيك بعد دقيقة؛ قُل: إن شاء الله؛ لأنك لا تدري ربما يأتي إليك ما يصرِفُك عن ذلك الذهاب، فلا تذهب، فإذا قُلتَ: إن شاء الله:لم تحنث، خرجتَ من العُهدة، ولا تثريبَ عليك، ولكن: إن شاء الله تُحملُ على العزم، لا تُحملُ على عدمِ العزم!! انتبه لهذهِ المسألة!! من كثرة ما نقول في السياقات الاجتماعية: إن شاء الله ، ثم لا نفعل ، كانت لهذه الجملة معانٍ سلبية عند الناس ، فمثلاً الولد يسأل: أريدُ حلوى، يجيبه الوالد: إن شاء الله، ولا يأتي بها!، أريدُ أن أذهب للتنزه في الحديقة، إن شاء الله، ولا يحدُث! أريدُ أن آتيَ معك، إن شاء الله، ولا تأخُذهُ! وهكذا...

بعد ذلك يقولُ الولد لك: أريدُ دفترًا. تقول لهُ: إن شاء الله؛ فيقول: لا تقُل إن شاء الله!! قلتُ: سُبحان الله! ربّينا أولادنا على أن: إن شاء الله، تُساوي: عدم الفعل! يا إلهي! بينما إن شاء الله فيها العزمُ كُلُّه؛ لأنَّ «إن» هنا بمعنى: إذا الدالة على التحقيق في الزمن [1].

من ذلك : إخبار ربُّنا ﷻ نبيَّهُ: ﴿ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾

=والقرطبي: الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ٢٥٠)، وابن كثير: تفسير القرآن العظيم (٥/ ١٤٩).

(١) انظر ابن عطية: المحرر الوجيز (١٣/ ٤٧٠).

[الفتح:٢٧]، فقولهُ: لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله ليس معناه: أنكم لن تدخلوا، ولكن هذا على التحقيق، وهذا ما فهِمهُ النبي ﷺ، عندما حاججهُ عُمر، فحجَّهُ النبي ﷺ فقال: هل قُلتُ لك: العام؟! قال: لا. فحجَّهُ النبي ﷺ.

النبي ﷺ وعدهُم أن يدخلوا البيت الحرام، ولكن لم يقُل: هذا العام أو من قابل، فلما حدثَ ما حدثَ من منع المشركين لهم دخول مكة ، كأنَّ الأمرَ أُشكِلَ على عُمر رضي الله عنه، فلما كان الصُّلح، وقعت العمرة، وكان دخول مكة العام القادم، وسُميتْ هذهِ العُمرة بعُمرة القضاء[1].

﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ ﴾ لأي شيء ﴿ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ إياك أن تقول في شيء: إن شاء الله ولا تعزم على الفعل!! ولكن إن شاء الله: أنك ستُحقِّق وتُنفِّذ ويكون هذا هو الأصل ، وهذا ما تتوجه إليه النية، إلا أن يقطعك قاطع ، وعندئذ : تخرج من عهدة الالتزام بالمشيئة .

*** خُلقانِ ينتشِرانِ بين الناس، إياك منهما:**

١-خُلُق [إن شاء الله] على الوجه المذموم-الوجه العرفي المذموم-.

٢-خُلق: التعريض!

إياكم من هذين الخُلقين.

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري (٣١٨٢-الجزية والموادعة)، ومسلم (١٧٨٥-الجهاد والسير) من حديث أبي وائل -رضي الله عنه-.

قال النبي ﷺ: «إِنَّ نَبِيَّ اللهَّ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ كَانَ لَهُ سِتُّونَ امْرَأَةً، فَقَالَ: لَأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى نِسَائِي فَلْتَحْمِلْنَ كُلُّ امْرَأَةٍ، وَلْتَلِدْنَ فَارِسًا يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهَّ، فَطَافَ عَلَى نِسَائِهِ، فَمَا وَلَدَتْ مِنْهُنَّ إِلَّا امْرَأَةٌ؛ وَلَدَتْ شِقَّ غُلاَمٍ»، قَالَ نَبِيُّ اللهَّ ﷺ: «لَوْ كَانَ سُلَيْمَانُ اسْتَثْنَى لَحَمَلَتْ كُلُّ امْرَأَةٍ مِنْهُنَّ، فَوَلَدَتْ فَارِسًا يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهَّ»[1] يطأ في هذهِ الليلة مئة امرأة، يطأُهم جميعًا. «كُلُّهم يأتي بفارِسٍ يُقاتِلُ في سبيل الله»

هنا وقفة يسيرة! المستشرقون من اليهود والنصارى ومن لَفّ لَفَّهم: يتَّهِمونَ النبي ﷺ أَنَّهُ نبيٌّ جِنسي؛ لأنهُ تزوَّج بتسعة من النساء، وأن النبي ﷺ كان يطوفُ على نسائه في الليلة الواحد، يا إلهي! هذا نبيُّ الله سُليمان: كان يطوفُ على سبعين امرأة أو على تسعين امرأة، أو على مئة امرأة في ليلةٍ واحدة.

لا يأتي أحد يقول: ما هذا الأمر؟ هذا أمرٌ مُدهِش!

الجواب: هذا نبي، والله تعالى يُحدِثُ لأنبيائهِ من الخوارق ما شاء، يُكلمُ لهُم الحصى والحجر، ويحملُهم على الماء ... فما الضير أن يكونَ من جُملة الخوارق: أن يطوفَ النبي على العددِ من النساء، ولكن ليس ذلك لشهوة بهيمة! وإنما لقصدٍ شرعي، فالنبي عندما يطوفُ على النساء ليس لأنهُ جنسي، ورجُل نساء! أبدًا، وإنما لأجلِ مقصودٍ شرعي.

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري (٧٤٦٩-التوحيد)، ومسلم (١٦٥٤-الأيمان) من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-.

قال: كلهم يأتي بفارِسٍ يُجاهدُ في سبيل الله.

عندما تأتي زوجتك، لأي قصدٍ تأتيها؟ لتُفرغَ شهوتك، إن هذا القصد في تحريه يُعَدُّ صدقة، لكن الأفضل من ذلك أن يكونَ لك قصدٌ شرعي، ما القصدُ الشرعي؟ انظُر ما المقاصد التي تُريدُها؟ التقرب إلى الله تعالى بالولد الصالح ، إقرار عين النبي ﷺ بتكثير سواد المسلمين (نسلهم) ..

ولم يقُل بني سليمان - عليه السلام - : «إن شاء الله» فطاف عليهن جميعًا: فلم تُنجِب أيُّهنّ إلا امرأةً أتت بشِقِّ غلام !!

قال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده؛ لو قال: إن شاء الله؛ لأتوا فرسانًا أجمعينَ يُجاهِدونَ في سبيل الله».

إذن عوقِبَ نبي الله سُليمان بعدمِ وقوعِ مقصودهِ الشرعي؛ لأنهُ لم يقُل إن شاء الله. إن من الفوائد العظيمة لقصة « سليمان » تَعَلُّم أدب المشيئة ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ ﴾ فإياك - أيها المسلم - أن تبرم شيئًا ولو بعد دقيقة ، إلا أن تقول: إن شاء الله.

قال أهل العلم : لو انفصل الاستثناء عن الكلام جاز هذا الاستثناء ، مثل: لو أن رجُلًا قال لزوجتهِ:

-وأنتِ طالق؛ ثم قال بعد ذلك بمدة: إن شاء الله!

هل يلزمهُ الطلاق أم لا يلزمهُ؟ قالوا: لا يلزمه وعمدتهم في ذلك : جواز فصل الاستثناء عن الخطاب، ولكن بدونِ مُهلةٍ طويلة، وهذا قولٌ جيِّد، واستـدلوا على ذلك بحديث العبَّاس عن النبي - ﷺ - ، في فتحِ مكَّة أن النبي ﷺ عندما دخلَ مكَّة؛ نهى عن قطعِ شجرِها ونبتها، نهى عن ذلك! ثم سكتَ النبي ﷺ؛ فقال لهُ العبَّاس يا رسول الله؛ إلا الإذخر؛ فإنهُ لقينهم وحاجتهم.[1]

القين: هم الخدم والعبيد، يقطعون الإذخر[2]، ويجعلونَ منهُ النار، وهذهِ النار تُستخدم في الطبخِ والخبزِ وغير ذلك، فقال النبي ﷺ: إلا الإذخر.

فإذا كان ذلك في الاستثناء، فإنهُ يجوزُ أيضًا في المشيئة؛ لأن المشيئةَ: استثناء. فلو أن إنسانًا قال قولًا وخشى التحرُّجَ فيه، أو عزمَ عزمًا وخشى التحرُّجَ منه، ولكن لم تطُل المُدَّة-أي بعد دقائق مثلًا- يجوز أن يستثني بأي صورةٍ كانت هذهِ الاستثناءات: إن شاء الله أو إلا كذا، أو نحوًا من ذلك.

﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ [الكهف:٢٣-٢٤] هل المقصودُ بالذكرِ هنا: أن يقولَ إن شاء الله؟ أي: إذا نسيَ أن يقول إن شاء الله، هذا قول.

---

(١) متفـق عليه. أخرجه البخـاري (١٣٤٩-الجنائز)، ومسـلم (١٣٥٣-الحج) من حديث ابن عباس -رضي الله عنه.

(٢) نبات يخرُج في الصحراء.

القول الثاني: أن النسيانَ سببُهُ الشيطان؛ والإنسانُ إذا أرادَ أن يتذكّر؛ فليذكُرِ الله؛ فإذا ذكر الله: هرب الشيطان؛ فإذا فرَّ الشيطان: تذكرَ الإنسان. وهذا أمرٌ مُشاهد[1].

ثم ينتهي السياق بقول الله ﷻ: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾ ثم قال: ﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾﴾ قال: وازدادوا تسعا؛ لأنَّ هذهِ بالسنوات الهلالية، فكُلُّ مئةِ سنة هلالية، تزيدُ على المئة سنة شمسية بثلاث سنوات، فلما مكثوا ثلاثمئة سنة هِجرية: زادت هذهِ المدة عن السنوات الشمسية بتسع سنوات، وهذا قول ربنا ﷻ: ﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ﴾ إذا اعتبرتها بالسنوات الشمسية؛ وإذا كانت بالسنوات القمرية: ﴿وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا﴾. [2]

انتهت قصة «فتية الكهف» كما ذكرها ربنا سبحانه، لكن لا تزال فوائدها وملامح أحداثها تهيج الأشجار في قلب كل مسلم غيور، ولم لا، وقد ملأها ربنا سبحانه بالعبر، وكنز بها كثيرًا من الملح والسِّير، فهنيئًا لكل من قرأها وعمل بها وأداها.

ما ذكرت: غيضا من فيض وقطرة من نبع، والله أسأل أن يمسكنا بدينه،

---

(١) انظر الفراء: معاني القرآن (٢/ ١٣٨)، والطبري: تفسير الطبري (١٥/ ٢٢٩)، والقرطبي: الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ٢٥١)، وابن كثير تفسير القرآن العظيم (٥/ ١٥٠).

(٢) انظر ابن عطية: المحرر الوجيز (٩/ ٢٨٤)، والقرطبي: الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ٢٥٣).

وأن يربط على قلوبنا بالإيمان والهداية ، وأن يجمعنا مع من نحب من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ، اللهم اجعل دعاءنا هذا لكل من قرأ سطور هذا الكتاب ولأهلينا وآبائنا وإخواننا ومشايخنا وتلامذتنا وأصحاب الحق علينا ، وصل اللهم وبارك على النبي محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرا.

** ** **

فهرس الموضوعات

الموضوع **الصفحة**

المقدمة ٥

قيام الحضارات والدول ٦

ملاحظتان شبابيتان ٦

تميز فتية أصحاب الكهف ٧

دلالة الاستفهام في ﴿ أَمْ حَسِبْتَ ﴾ ٨

دلالات : الرقيم والفتية ٩-١٠

دلالات : (أوى إلى) ١٠

الفارق بين الكهف والغار ..... ١٠- ١١، ٤٣

ضرورة الأخذ بالأسباب ..... ١١ - ١٢

تعدد لوازم الرحمة ١١

بركة الافتقار إلى الله تعالى ١١-١٢

الموضوع	الصفحة

فعل الله تعالى بعبده المقبل عليه ١٣-١٥

الدلالة في قوله تعالى: ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ ﴾ ١٦

دلالة الظرف في قوله تعالى : ﴿ فِي ٱلْكَهْفِ ﴾ ١٦-١٧

دلالة العطف (ثم) في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ ﴾ ١٧

دلالة الحزب في قوله تعالى : ﴿ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ ﴾ ١٨

المعاني الكلية للقرآن ٢٠

جمال الدلالة في قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ ﴾ ٢٢

الإيمان يتجزأ، يزيد وينقص ٢٤

علامة النجاة والسلامة ٢٥

فائدة الربط على القلب ..... ٢٦، ٣٢

دلالة القيام في قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ ..... ٢٧، ٢٩، ٣٢

أصول الاستدلال ٢٨

الموضوع	الصفحة

أثر القراءة في تنوع الدلالة ٢٩-٣٠

تزاحم الحق والباطل ونتيجة ذلك ٣٠

الثبات في مواقف مواجهة الباطل ..... ٣١، ٣٣

معنى التوحيد ٣٤

الشيعة الرافضة الإمامية : أمة ضالة ٣٤-٣٩

أصول الشيعة الرافضة الإمامية: الشرك والبدعة ٣٥

إمام الشيعة أفضل من رسول الله ﷺ ٣٧

مهدي الشيعة: شرير خبيث حقود ٣٧-٣٨

اعتقاد الشيعة الرافضة بتحريف المصحف ٣٨

اعتقاد الشيعة الرافضة بحِل دماء أهل السنة ٣٨

من الشباب الذي نريد؟ ٣٩

لطيفة في الكرمات والمعجزات وخوارق العادات ٤٠-٤٣

آية الشمس في قصة فتية الكهف ٤٣-٤٤

هداية الله سبحانه الفتية إلى الكهف وتهيأته لهم ٤٣

الموضوع	الصفحة

آية الفتية وهم رقود ٤٤-٤٦

قدرة الله سبحانه على بعث الفتية ٤٦

أدب الفتية وإيمانهم عند المحاورة ٤٦-٤٩

أدب الرفق ودلالاته وتطبيقاته وآثاره الأسرية والاجتماعية ٤٩-٥٢

قصة العام السني النابلسي مع رافضة العبيديين بمصر ٥٤

شيء من فضائح الشيعة الرافضة في العصر الحديث ٥٤-٥٧

ثبات فتية الكهف ٥٧

حكمة وحذر فتية الكهف ٥٧-٥٨

إسلام محمد (ص) منهج متكامل ٥٨

ماذا يريد أهل الباطل من أهل الحق ؟ ٦١

خطورة المدرسة الوجودية الحديثة على مجتمعات المسلمين ٦٢-٦٤

قدرة الله تعالى على البعث ٦٤-٦٥

القول في عدد أصحاب الكهف ٦٦

حفظ الصحابة جناب التوحيد ٦٦-٦٧

الموضوع	الصفحة

عدم جواز بناء المساجد على القبور، أو جعل القبور في المساجد ٦٧-٦٩

ضلال الشيعة الرافضة الذين يحاربون من أجل القبور ٦٨

تشبه الشيعة الرافضة بالحشرات الزاحفة وفعلهم ذلك ٦٩

الأصول اليهودية للديانة الرافضية الخبيثة ٦٩

خطورة الكلام بغير علم أو برهان ..... ٧٠، ٧١

فائدة مصاحبة الصالحين ٧١

ذم الجدال والمراء ٧١

مسألة الإسرائيليات وقبولها !! ..... ٧١ - ٧٢

الكلام في الاستثناء والمشيئة ..... ٧٣- ٧٤، ٧٦

التحذير من التسويف وأيضًا التعريض ٧٤

الرد على من عاب النبي ﷺ بتعدد أزواجه ٧٥

جواز الاستثناء من الكلام ولو بعد مهلة يسيرة ٧٦-٧٧

سبب النسيان ٧٨

الخاتمة ٧٨-٧٩

فهرس الموضوعات ٨٠